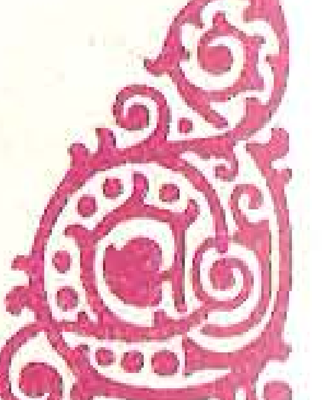
أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم

لأبي عبد الله محمد بن علي بن حماد

تحقيق ودراسة

دكتور التهامي نقرة

دكتور عبد الحليم عويس



هذا الكتاب

يؤرخ لسيرة الفاطميين فى المغرب (٢٩٨ - ٣٦١هـ) وفى مصر (٣٦٢ - ٥٦٤هـ) .

وفى كلا الدولتين : المغرب ومصر لم يبق للفاطميين أثر مذهبى بعد ذهابهم إلا فى بعض الموالد والمظاهر والأحفال التى روجوا لها هنا وهناك وثمة قضية نراها جديرة بالبحث — ترتبط بالفاطميين إذا ما ذكروا ... إنها قضية حقيقة هؤلاء القوم الذين شغلوا الدنيا نحو ثلاثة قرون سواء فى المغرب أو المشرق .

كاد الرأى القائل بأن الفاطميين من نسل فاطمة بنت محمد ﷺ أن ينتصر فى فترة من الفترات ، وكادت الآراء التى روجت له تغلب غيرها ، لشهرة قائليها ، ولأن مخالفيهم إنما هم خصوم للفاطميين ، وحرى بالخصم أن لا يؤخذ رأيه فى خصمه ، لولا أن منهج النقد التاريخى قد اتضحت معالمه وأصبح قادراً على أن يرشدنا إلى الآراء الأخرى .

دار الصحوة

٧ ش السراى بالمنيل . ت : ٩٨٧٩٢٤

حدائق حلوان . ت : ٦٨٨٠٧١

القاهرة

دار الصحوة

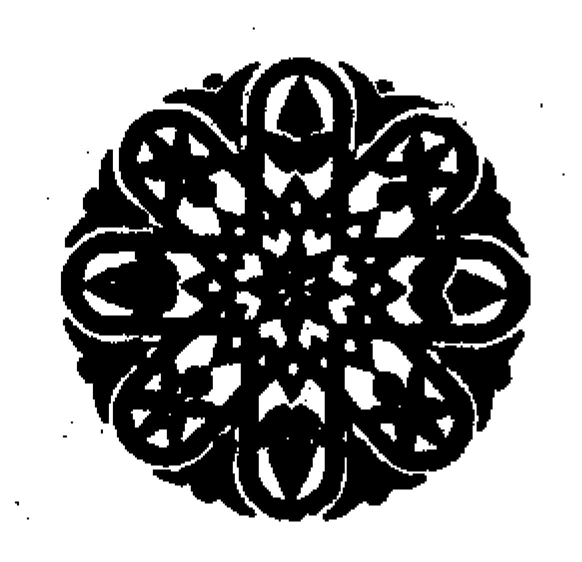
للنشر والتوزيع

٧ شارع السراى بالمنيل ـ القاهرة

تليفون : ٩٨٧٩٢٤

أخبار

ملوك بني عبيد وسيرتهم



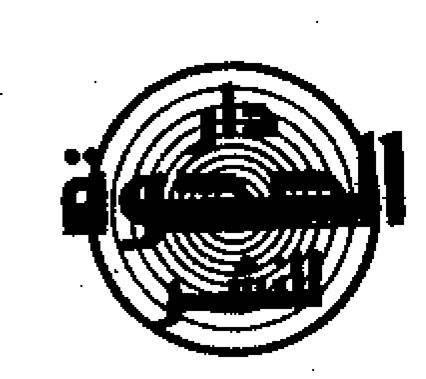
تحليل لتاريخ الدولة الفاطمية من خلال مصدر تراثي

أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم

لأبي عبد الله محمد بن علي بن حماد

تحقيق ودراسة

د. التهامي نقرة — د. عبد الحليم عويس



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ترجمـــة المؤلف

مؤلف هذا الكتاب من المؤرخين الجزائريين الذين عاشوا عقيب سقوط دولة بنى حماد التى انفصلت عن بنى زيرى ، وحكمت المغرب الأوسط (الجزائر) خلال فترة تقرب من نصف قرن (٤٠٥ – ٥٤٢ هـ) . . وإلى حكام هذه الدولة الأشاوس ينتسب مؤلف هذه المخطوطة ، ومن مجدها يأخذ بعض مجده . وإلى عاصمتها الأولى (قلعة بنى حماد) يعود بأصله .

وكانت دولة بنى حماد قد خلفت تراثاً حضارياً مزدهراً فى عاصمتها الحضارية (بجاية) التى نافست القيروان ، بل قامت مقامها بعد أن دمرها أعراب بنى هلال وبنى سليم ، فأصبحت (بجاية) الحاضر الكبرى بالمغرب العربى الإسلامى . وحسبك دلالة على الحالة الثقافية فى المغرب الأوسط بعامة ، وبجاية بخاصة ، ما أورده أبو العباس الغبرينى فى كتابه (عنوان الدراية فيمن عرف عن العلماء فى المائة السابعة ببجاية) إذ أنه بعد أن أورد عشرات العلماء قبيل القرن السابع . . اعتذر بأنه لايستطيع أن

يستمر فى حصرهم — لكثرتهم — وحيث إن شرط الكتاب (وهو القرن السابع) لايشملهم .

فى ظلال هذا المجد الحمادى ، وفى حمى دولة الموحدين التى ورثت هذا المجد وحكمت المغرب العربى الإسلامى كله من منتصف القرن السادس حتى منتصف القرن السابع — عاش صاحبنا أبو عبد الله محمد بن على بن حماد بن عيسى بن أبى بكر الصنهاجى العلامة المحدث الأديب المؤرخ .

وقد ترجم لأبى عبد الله كثيرون فى القديم والحديث ، فمن ترجم له أبو العباس الغبرينى (ت ٧١٤) فى كتاب الآنف الذكر (عنوان الدراية) ، كما ترجم له لسان الدين بن الخطيب (٧٧٦ هـ) فى أعمال الأعلام (الجزء الثالث) ، ولا مارى فى المكتبة الصقلية ، والكتانى فى فهرس الفهارس (الجزء الثانى) ومحمد بن محمد مخلوف فى (الشجرة الزكية فى طبقات المالكية) ، وعبد السلام بن عبد القادر بن سودة فى (دليل مؤرخ المغرب الأقصى) ، وخير الدين الزركلى فى (الأعلام) وعمر رضا كحالة فى (معجم المؤلفين) .

ولاتضيف التراجم اللاحقة على ترجمة أبى العباس الغبرينى كثيراً ، إذ أن أبا العباس الغبرينى كان من معاصرى أبى عبد الله ابن حماد فى المكان والزمان ، ولذا كان به أبصر ، وعلى الترجمة الصادقة له أقدر .

قال الغبرينى فى ترجمة ابن حماد :

« ومنهم الشيخ الأجل الفقيه الرئيس الأكمل العالم الأوحد أبو عبد الرحمن بن على بن حماد بن عيسى بن أبى بكر الصنهاجى أصله من قرية تعرف بحمزة من حوزة قلعة بنى حماد وهو من أهل قلعة بنى حماد من كبراء الأئمة وفضلائهم قرأ ببلدة بالقلعة وكانت حاضرة علم ، وقرأ ببجاية ولقى بها جلة منهم الشيخ أبو مدين رضى الله عنه .

قال فى برنامجه : إنه سمع عليـــه كتاب المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى من فاتحته إلى خاتمته قراءة تفقه قال : فأول مجلس حضرته عليه أردت أن أقيد ما يقوله على الكتاب قال فمشيت إلى دار وقيدت ما علق بخاطرى من كلامه ، فلما كان من الغد ووقع الحضور للدرس كان أول ما افتتح به الشيخ كلامه أن قال أنا لا أريد أن يقيد على شىء مما أقوله على هذا الكتاب أو كلاما هذا معناه فكانت تلك احدى كراماته رضى الله عنه التى شاهدتها منه فأمسكت عن التقييد . قال وكان ذلك بداره ببجاية سنة احدى وثلاثين وخمسمائة . ومنهم القاضى المحدث العالم أبو محمد عبد الحق الأزدى الأشبيلى روى عنه مباشرة ببجاية كتاب الموطأ وغيره من الكتب وروى عنه بواسطة عن الأستاذ أبى ذر مصعب بن محمد ، عنه وهذا مما يدل على فضله فإن المألوف أن الإنسان إذا شارك الشيخ لا يروى عنه بواسطة غير أن هذا

يستمر فى حصرهم — لكثرتهم — وحيث إن شرط الكتاب (وهو القرن السابع) لايشملهم .

فى ظلال هذا المجد الحمادى ، وفى حمى دولة الموحدين التى ورثت هذا المجد وحكمت المغرب العربى الإسلامى كله من منتصف القرن السادس حتى منتصف القرن السابع — عاش صاحبنا أبو عبد الله محمد بن على بن حماد بن عيسى بن أبى بكر الصنهاجى العلامة المحدث الأديب المؤرخ .

وقد ترجم لأبى عبد الله كثيرون فى القديم والحديث ، فمن ترجم له أبو العباس الغبرينى (ت ٧١٤) فى كتاب الآنف الذكر (عنوان الدراية) ، كما ترجم له لسان الدين بن الخطيب (٧٧٦ هـ) فى أعمال الأعلام (الجزء الثالث) ، ولا مارى فى المكتبة الصقلية ، والكتانى فى فهرس الفهارس (الجزء الثانى) ومحمد بن محمد مخلوف فى (الشجرة الزكية فى طبقات المالكية) ، وعبد السلام بن عبد القادر بن سودة فى (دليل مؤرخ المغرب الأقصى) ، وخير الدين الزركلى فى (الأعلام) وعمر رضا كحالة فى (معجم المؤلفين) .

ولاتضيف التراجم اللاحقة على ترجمة أبى العباس الغبرينى كثيراً ، إذ أن أبا العباس الغبرينى كان من معاصرى أبى عبد الله ابن حماد فى المكان والزمان ، ولذا كان به أبصر ، وعلى الترجمة الصادقة له أقدر .

قال الغبرينى فى ترجمة ابن حماد :

« ومنهم الشيخ الأجل الفقيه الرئيس الأكمل العالم الأوحد أبو عبد الرحمن بن على بن حماد بن عيسى بن أبى بكر الصنهاجى أصله من قرية تعرف بحمزة من حوزة قلعة بنى حماد وهو من أهل قلعة بنى حماد من كبراء الأئمة وفضلائهم قرأ ببلدة بالقلعة وكانت حاضرة علم ، وقرأ ببجاية ولقى بها جلة منهم الشيخ أبو مدين رضى الله عنه .

قال فى برنامجه : إنه سمع عليـــه كتاب المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى من فاتحته إلى خاتمته قراءة تفقه قال : فأول مجلس حضرته عليه أردت أن أقيد ما يقوله على الكتاب قال فمشيت إلى دار وقيدت ما علق بخاطرى من كلامه ، فلما كان من الغد ووقع الحضور للدرس كان أول ما افتتح به الشيخ كلامه أن قال أنا لا أريد أن يقيد على شيء مما أقوله على هذا الكتاب أو كلاما هذا معناه فكانت تلك احدى كراماته رضى الله عنه التى شاهدتها منه فأمسكت عن التقييد . قال وكان ذلك بداره ببجاية سنة احدى وثلاثين وخمسمائة . ومنهم القاضى المحدث العالم أبو محمد عبد الحق الأزدى الأشبيلى روى عنه مباشرة ببجاية كتاب الموطأ وغيره من الكتب وروى عنه بواسطة عن الأستاذ أبى ذر مصعب بن محمد ، عنه وهذا مما يدل على فضله فإن المألوف أن الإنسان إذا شارك الشيخ لا يروى عنه بواسطة غير أن هذا

إنما هو من رعونات النفس ، والحق أن الإنسان كيف ما وجد الفائدة تلقاها ، ومنهم القاضى الإمام أبو على المسيلى ومنهم القاضى العالم أبو تميم يحمون بن جباره وأبو العباس بن مبشر ، ولقى غير هؤلاء بالقلعة والجزائر وتلمسان وغيرها من بلاد المغرب ، ومن جملة من أخذ عنه القاضى العالم أبو عبد الله محمد بن عبد الحق ابن سليمان التلمسانى وغير هؤلاء من صدور العلماء ، ورأيت له برنامجاً ذكر فيه شيوخه ومقروءاته من الكتب يشتمل على مائتى كتاب واثنين وعشرين (فى نسخة وأربعين) كتاباً كلها مسندة إلى مؤلفيها مذكور السند فيها ، وما رأيت برنامجاً أحسن منه لأن أكثر البرنامجات تقع فيها الإحالات إما فى الكل أو فى البعض إلا هذا البرنامج فإنه ما أحال فيه على كتاب أصلا وذكر فيه أنه لخص كتاب الطبرى يعنى تاريخه وكل من روى عنه فما هو إلا من الجلة الأعلام واشتهر عنه رحمه الله فى التحصيل والعلم أكثر مما اشتمل عليه برنامجه . والذى يدل عليه برنامجه من علومه هو علم القرآن العزيز وعلم الحديث وعلم الأصول وعلم النحو وعلم الأدب والتاريخ وعلوم الرقائق والأذكار وكان له فى كل فن من هذه الفنون حظ وافر وعلم باهر ولى قضاء الجزائر (كذا فى جميع النسخ) الخضراء ثم صرف عنها وولى قضاء مسلى سنة ثلاث عشرة وستمائة . وله تآليف منها كتاب الإعلام بفوائد الأحكام لعبد الحق الأشبيلى وشرح مقصورة ابن دريد ، وله تاريخ سماه بالنبذ

المحتاجه فى أخبار صنهاجة بإفريقية وبجاية ، وتوفى سنة ثمان وعشرين وستمائة — (١٢٣١ م) وقال ابن زيتون (فى نسختين لابن فرتون) فى عشر الأربعين وستمائة وكان ينيف على الثمانين رحمه الله ، ويتصل إسنادى عنه من طريق الفقيه أبى عبد الله الخطيب عن أبى محمد إبن بوطلة عنه ! ! .

مناقشة لنسب الفاطميين

ويؤرخ هذا المخطوط لسيرة الفاطميين فى المغرب (٢٩٨ هـ — ٣٦١ هـ) بعد أن فتح المغرب — فتح دعوة وسيف — أبو عبيد الله الشيعى لحساب أبى عبيد الله المهدى ، ولسيرتهم فى مصر (٣٦٢ — ٥٦٤ هـ) بعد أن فتحها لحسابهم — فتح سيف — قائد المعز لدين الله الفاطمى المعروف (جوهر الصقلى) .

وفى كلا الدولتين : المغرب ومصر لم يبق للفاطميين أثر مذهبى بعد ذهابهم اللهم إلا فى بعض الموالد والمظاهر والأحفال التى روجوا لها هنا وهناك .

وثمة قضية نراها جديرة بالبحث — من وجهة نظرنا — ترتبط بالفاطميين ؛ إذا ماذكروا . . إنها قضية حقيقة هؤلاء القوم الذين شغلوا الدنيا نحو ثلاثة قرون سواء فى المغرب أو فى المشرق .

وفى فترة من الفترات ، وهذا ما دعانا لإعادة الحديث هنا ، كاد الرأى القائل بأن الفاطميين من نسل فاطمة بنت محمد صلى

الله عليه وسلم ينتصر ، وكادت الآراء التى روجت له تغلب غيرها ، لشهرة قائليها ، ولأن مخالفيهم إنما هم خصوم للفاطميين ، وحرىّ بالخصم أن لايؤخذ رأيه فى خصمه ؟ .

ولم لا ؟ ومن القائلين بصحة نسبهم (١) العلامة عبد الرحمن ابن خلدون (٨٠٨ هـ) الذى اعتبر التشكيكات فى نسبهم بعض مظاهر (التوهم) فى التاريخ ، فكاد — بالتالى — يصادر الآراء الأخرى ، لولا أن منهج النقد التاريخى قد اتضحت معالمه ، وأصبح قادراً على أن يرشدنا إلى آراء أخرى .

بل إن بعض المؤرخين الثقات كابن الأثير فى الكامل (٦٣٠ هـ) والمقريزى فى الخطط المقريرية (٨٤٥ هـ) يدافعون عن نسب الفاطميين ، وكأنهم قد وضعوا أيديهم على ما يؤكد ذلك .

ولو اطلع هؤلاء المؤرخون على ما أورده صاحبنا (أبو عبد الله محمد بن على بن حماد) فى مخطوطه موضوع الحديث (أخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم) لضموه إلى جملة الآراء التى يستشهدون بها دليلا على صحة رأيهم .

إن صاحبنا فى الصفحة السادسة من مخطوطه ، وهو بصدد الحديث عن عبيد الله المهدى — يقول :

(١) انظر المقدمة (ص ١٢١) طبعة ١٩٠٠ هـ .

« اختلف الناس فى نسبه إلى الحسين بن على عليهما السلام ، فمن مسلّمين ما ادعاه ، ومقرّين بما حكاه ، ومن دافعين ومانعين ما انتحله ، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم الله . فالذى ادعاه هو أنه عبيد الله بن محمد بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر ابن محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم . والذى ادعاه الناس لابرهان عليه فلا حاجة لى إليه » .

أما المحدثون ممن ذهبوا إلى صحة نسبهم فهم كثيرون نذكر منهم كارل بروكلمان ، والدكتور أحمد شلبى (انظر الجزء الرابع من موسوعة التاريخ الإسلامى) والدكتور إبراهيم شعوط فى كتابه (أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ) .

كما ذهب إلى هذا الرأى الدكتور حسن إبراهيم حسن ، والدكتور محمد جمال الدين سرور . ومال إليـــه — بشىء من التردد — المستشرق — كترمير . . ! ! .

ومن بين هؤلاء يبدو موقف الدكتور إبراهيم شعوط أكثر المواقف تأييداً لصحة نسب الفاطميين(١) وتحمساً لهذا الرأى ، وهو لم يكتف بما ذهب إليه ابن خلدون من أن الطعن فى هذا النسب من أوهام المؤرخين ، بل إنه جعل هـــذا الطعن عملا معـــادياً للإســـلام . . ! !

(١) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ الطبعة الرابعة مطبعة دار التأليف ١٩٧٦م بمصر صفحات من ٣٤٨ إلى ٣٦٣ .

يقول الدكتور شعوط :

إن قضية الطعن فى نسب الفاطميين يتولاها رجل علوى هو الشريف أخو محسن محمد بن على بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن جعفر الصادق ، حيث يقول : إن عبيد الله المهدى هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديصان الشنوى الأهوازى ، وأصله من المجوس .

ثم يعود أخو محسن ويذكر أن سعيداً الذى عرف باسم عبيد الله المهدى أول خلفاء الفاطميين — إنما كان ابن حداد يهودى مجهول ، تزوجت أرملته بالحسين بن أحمد بن عبد الله ابن ميمون القداح فتبنى سعيداً هذا ، وأدبه وعلمه أسرار مذاهب الإسماعيلية ، لأن الحسين لم يعقب من زوجته امرأة اليهودى .

وتبع الشريف « أخو محسن » فى هذا الرأى ، جماعة من أعلام المؤرخين العرب ، أمثال أبى بكر الباقلانى ، وابن واصل ، والذهبى . . ومن المؤرخين المستشرقين (ديغويه) و (مستنفلد) و (دوزى) .

ثم أخذ أولئك الطاعنون فى نسب الفاطميين ، يلتمسون ما يظنون أنه يؤيدهم فى إنكار نسب هؤلاء إلى على رضى الله عنه .

ويمكن إجمال حججهم فيما يأتى :

أولا : يذكر ابن خلكان أن المعز لدين الله الفاطمى ، حين

وصل إلى مصر ، اجتمع به بعض الأشراف . وسأله أحدهم وهو الشريف (ابن طباطبا) قائلا : إلى من ينتسب مولانا ؟ فأجابه المعز بأنه سيعقد مجلساً يضمهم ويرد عليهم نسبه . فلما انعقد المجلس فى القصر ، وضع المعز يده على مقبض سيفه وجذبه من جرابه إلى النصف وقال : « هذا نسبى » ثم مدّ يده الأخرى بمقدار من الذهب ونثره عليهم ، وقال : « وهذا حسبى » فأجابوه جميعاً بالسمع والطاعة .

ثم ذكر ابن خلكان : أن المصريين اعتبروا هذا التصرف فراراً من الجواب ، لأنه مدخول فى نسبه .

ثانيـاً : روى الثعالبى فى « يتيمة الدهر » أن صاحب مصر ، أرسل إلى عبد الرحمن الناصر الأموى صاحب الأندلس ، كتاباً يسبه فيه ويهجوه . فرد عليه عبد الرحمن يقول له : « أما بعد ، فقد عرفتنا فهجوتنا ، ولو عرفناك لأجبناك » .

ثالثـاً : ذكروا أن عبيد الله الشيعى — داعية الفاطميين فى بلاد المغرب حين علم بسجن المهدى فى مدينة سجلماسة ، وذهب ليخلصه ، وجده مقتولا ، فأخذ مكانه رجلا يهودياً كان فى السجن ، وادّعى أنه هو عبيد الله المهدى صاحب الدعوة .

ومن هنا ، وجد الطعن فى نسب الفاطميين .

رابعـاً : اعتملوا على ما قام به بعض الخلفاء العباسيين ،

مثل (المعتضد) و(القادر) من حمل العلويين فى بغداد ، على توقيع محاضر ينفون فيها نسب هؤلاء القوم إلى فاطمة الزهراء .

ويعلق الدكتور شعوط على هذه الاعتراضات التى أوردها بقوله :

هذه الأمور الأربعة . . تعتبر أقوى ما استند إليـه الطاعنون فى نسب الفاطميين .

ولكننا — عند التحقيق التاريخى — نجدها لاتصلح للاعتماد عليها فى نفى النسب الشريف إلى البيت العلوى ، عن هؤلاء القوم . وكل واحدة من هذه الأمور التى اعتمدوا عليها ، تحمل فى طياتها ، مايدحضها ويثبت تلفيقها .

وإليك البيان :—

أولا : أن القول المنسوب إلى الشريف ابن طباطبا من سؤال المعز عن نسبه أظهرت الحقائق الثابتة بالأدلة الواضحة أنه غير صحيح . لأن ابن طبا طبا توفى عام ٣٤٨ ﻫ بينما كان قدوم المعز إلى مصر عام ٣٦٢ ﻫ فكيف لرجل توفى قبـل مجيء المعز إلى مصر بأربعـة عشر عاماً ، أن يسأله أو يجتمع به ؟ .

ثانيـاً : إن رواية الثعالبى التى يتهكم فيها عبد الرحمن الناصر الأموى بالمعز لدين الله الفاطمى يتضح من أسلوبها ، أنها نوع من الاستعلاء الذى يحدث عادة بين متنافسين على ملك أوزعامة .

ومظهر من مظاهر التجاهل للخصم ، مهما كانت قوته . لأن العلاقة بينهما ، كانت بالغـة أقصى حدود التوتر .

يذكر ابن خلكان (ج ٥ ص ٩) أن هذه الرواية معها رواية أخرى ، ينقلها أبو الحسن الرومى فى كتاب « تحفة الظرفاء فى تاريخ الخلفاء » أن هذه الواقعة للحاكم المستنصر بالله الأموى لما كان بينه وبين العزيز المذكور وأن المستنصر الأموى ، هو الذى كتب إلى العزيز يسبه . فكتب إليه العزيز « أما بعد . . إلخ » .

ثالثـاً : أما حكاية اليهودى الذى نصبه أبو عبد الله الشيعى بدل عبيد الله المهدى ، فهى موضوع تساؤل شديد — منذ قديم — عن الدافع الذى حمل أبا عبد الله الشيعى على هذا التصرف ، مع العلم بأن أبا القاسم بن عبيد الله المهدى كان مع أبيه فى ذلك السجن . فكان أولى أن ينصب مكان أبيه . وخاصة أنه تولى الخلافة بعد ذلك ، ولمـا اشتدت الخصومة بين أبى عبد الله الشيعى وعبيد الله المهدى الخليفة الفاطمى الأول ، لم يذكر أحد من الفاطميين ، أن من مساوئه أنه فكر فى أمر كهذا ، حتى يبرر قتله فى نظر الجماهير التى كانت متأثرة بشخصية أبى عبد الله الشيعى .

ومع كل هذا . . فإننا نجد ابن الأثير فى كتابه « الكامل » يقول : « وهذه الأقوال فيها ما فيها .. فياليت شعرى . ما الذى حمل

أبا عبد الله الشيعي وغيره ممن قام فى إظهار هذه الدعوة ، حتى يخرجوا هذا الأمر من أنفسهم ويسلموه إلى ولد يهودى ! ! .

وهل يسامح نفسه بهذا الأمر من يعتقد دينا يثاب عليه ؟ .

رابعاً : أما محاضر الخلفاء العباسيين فنحن لانحتاج إلى مجهود كبير فى معرفة الطريقة التى كانت توقع بها ، ومقدار سطوة الخلفاء وبطشهم بمن يخرج على رغباتهم .

وأخيراً . . يقول الدكتور شعوط — بعد مسيرة طويلة : —

« فهذا التشكيك فى نسب الفاطميين نوع من العداوة الخبيثة للإسلام والمسلمين ، حتى يغضوا من قيمة الفاطميين الذين تركوا فى مصر كنوزاً ثمينة من العلم والفن لاتزال باقية إلى الآن ، والذين قال فيهم برو كلمان : (وعلى الرغم من ضعف الفاطميين الذى أطلع رأسه فى سرعة ، فقد استطاعوا أن يضمنوا لمصر عهوداً متطاولة من الرخاء العظيم . . . .) .

ويعقب الدكتور شعوط على عبارة بروكلمان بقوله :

« ولعل بروكلمان من خيرة المؤرخين الذين حاولوا أن يعطوا للفاطميين حقهم فى التاريخ(١) » .

رأينا فى نسب الفاطميين :

من الغريب أن يكون أول من تنكر للنسب الفاطمى بعض

---

(١) المرجع السابق ٣٥٩ .

كبار الشيعة . وعلى رأس هؤلاء الشريف العلوى أخو محسن محمد بن على بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن جعفر الصادق . . . الذى ألمعنا إلى رأيه فى النصوص السابقة ، ويصور لنا الشريف أخو محسن ذلك الاضطراب السيء فى نسب الفاطميين ، فيقول : « وقد كان قرمط يكاتب من مسلمية ، فلما توفى من كان فى وقته وجلس ابنه من بعده كتب إلى حمدان قرمط ، فلما رد عليه الكتاب أنكر ما فيه لألفاظ كان يعهدها عليه فاستراب وأرسل أحد دعاته المسمى بعبدان فلما وصل إلى هناك عرف بموت ذلك الطاغية الذى كانوا يكاتبونه ووجد ابنه فسأله عن الحجة ومن الإمام بعده ؟ فقال الابن : ومن هو الإمام ؟ قال عبدان : الإمام محمد بن إسماعيل بن جعفر صاحب الزمان الذى كان أبوك يدعو إليه ، وكان حجته ، فأنكر ذلك كله ، وقال : محمد بن إسماعيل لا أصل له . ولم يكن الإمام غير أبى وأنا أقوم مقامه ، فرجع عبدان إلى قرمط فعرفه الخبر ، وأمره قرمط أن يجمع الدعاة ويعرفهم صورة الأمر ، وما تبين له منه ، ويقطع الدعوة لمن بسلمية ففعل عبدان ذلك ، ولما قطعوا الدعوة من بلادهم لم يمكنهم أن يقطعوها من غير ديارهم لأنها كانت قد امتدت فى سائر الأقطار وكثر شرها وتزايد خبثها ، وذلك كله فى سنة ست وثمانين ومائتين » .

ويقول الشريف أخو محسن — أيضاً — : وكان مبتدأ هذه الدعوة الخبيثة لمحمد بن إسماعيل بن جعفر بزعمهم ، ولم تزل

هذه الدعوة إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر مرتبة على ما كانت رتبت إلى أن هرب سعيد المسمي بعبيد الله الملقب بالمهدى من سلمية . . فصار هو الإمام (١) » ! ! .

* * *

وإذا كان أبو عبيد الله الشيعى الداعى هو الذى تحمل عبء إقامة دولة للفاطميين فى المغرب ، ولم يكن لأبى عبيد الله المهدى فى إقامتها أى فضل ، لدرجة أنه عندما كان فى طريقه إلى المغرب — بدعوة الشيعى — وجد أن المعارك لازالت متصلة بين الشيعى والأغالبة فى القيروان ، فسار غرباً إلى الصحراء تاركاً الشيعى فى قتاله دون أن يقدم له أى عون . . . حتى ورث ملكاً جاهزاً قدم له على طبق من ذهب .

إذا كان عبيد الله الشيعى قد فعل كل ذلك ، ففى المقابل كان أول عمل قام به أبو عبيد الله المهدى هو اغتيال الشيعى وأخيه العباس بعد عام واحد من نشأة الخلافة الفاطمية(٢) وكانت الحجة التى أبرزت لتبرير هذا العمل الإجرامى أن الشيعى كان يريد الاستئثار بالسلطة . . ولكن أحداً من المؤرخين لم يسأل : أى سلطة تلك ؟ إن الجهد كله كان على يد الشيعى وليس للمهدى

(١) انظر دولة الإسماعيلية فى إيران د ـ محمد السعيد جمال الدين (نقلا عنه) ص ٦١ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١-٤٤٤ والكامل ٦-١٣٤ .

فيه أى فضل . . أيرثه هذا دون أن يعطى للشيعى ولو صلاحية الحاجب أو الوزير الأول ؟ وهل يليق هـــذا بأهل البيت ؟ .

والتفسير الحقيقى الذى نراه مطابقاً للعقل أن أبا عبيد الله الشيعى وأخاه العباس — المقتولين معا — قد شكا فى حقيقة المهدى ، وأخذا يدعوان الناس لعصيانه ويقولان لهم : « إن المهدى يختم بالحجة ويأتى بالآيات الباهرة » ويقولان كذلك : « إن هذا ليس بالذى كنا نعتقد طاعته وندعو إليه ، لأن المهدى يختم بالحجة ويأتى بالآيات الباهرة » . . .

ويروى المقريزى — الذى بسط هذا الأمر — أن شيخاً من قبيلة كتامة التى نصرت الدعوة الفاطمية دخل على المهدى وقال له :

— إن كنت المهدى فأظهر لنـــا آية فقد شككنا فيك(١) ؟ .

— فكان جزاء قوله هذا من المهدى الفاطمى (!!) : (القتل) ! ! !

* * *

ويضاف إلى مواقف التشيع المخالفة للفاطميين ، موقف الأدارسة ، الذين سبقوا الفاطميين فى المغرب ، وكان من المعقول أن يتحدوا معاً ، وأن تكون بينهم علاقات ودية على الأقل .

(١) اتعاظ الحنفا ص ٩٥ .

لكن الذى حدث هو العكس ، فقد تعرضت دولة الأدارسة فى المغرب الأقصى (١٧٢ – ٢٦٣ هـ) لعداء الفاطميين وهجومهم ، فاضطر الأدارسة إلى الانسحاب شمالا إلى منطقة جبال الريف حيث تحصنوا هناك فى بعض القلاع مثل البصرة وأصيلا وحجر النسر(١) . بل إنهم اضطروا للتعاون مع بنى أمية فى الأندلس أيام عبد الرحمن الناصر ضد هذه الغارة الفاطمية التى لا تأبه بوحدة فى مذهب ، ولا بوشيجة نسب ولا عرق ! ! .

* * *

وإذا كنا لا نعطى أهمية كبرى للوثيقة التى تفضح نسب الفاطميين ، ونعتقد أن الضغوط السياسية يمكن أن تكون قد أملتها ، لكننا مع ذلك نلاحظ أن الموقعين عليها من العلماء الثقات الذين يصعب أن يرغموا على شىء من ذلك . .

كما نلاحظ أن العلويين الشرفاء كانوا من بين الموقعين عليها . وإذا كانوا قد اضطروا لتوقيعها ، أفلم تكن هناك فرصة – بعد ذلك – أتيحت لهم ليعلنوا هذا الإكراه ، ويتخلصوا من تبعته ، ويتبرءوا منه ، ويعودوا للاعتراف بصحة النسب الفاطمى . . . . إن شيئاً من ذلك لم يحدث . فإذا أضفنا إلى هذا ضعف الخلفاء العباسيين فى فترة الفتح الفاطمى لمصر ، وإمكانية الخروج عليهم –

(١) د . أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ص ١٩٠ .

كان ذلك أدعى إلى الثقة فى هذه الوثيقة . . على أن أسلوب الوثيقة يدل دلالة كبيرة على اقتناع كاتبها بها . . . تقول الوثيقة :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

هذا ما شهد به الشهود أن معد بن إسماعيل المستولى على مصر هو معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد وأنهم منتسبون إلى ديصان بن سعيد الذى انتسب إليه الديصانية وأن سعيداً المذكور صار إلى المغرب وتسمى بعبد الله وتلقب بالمهدى ، وأن هذا القائم بمصر هو منصور الملقب بالحاكم (حكم الله عليه بالبوار والدمار) ابن نزار بن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد ، وأن من تقدمه من سلفه (الأرجاس الأنجاس عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين) أدعياء خوارج لانسب لهم فى ولد على بن أبى طالب ولا يتعلقون منه بسبب ، وأن ما ادعوه من الانتساب إله باطل وزور . ولم يتوقف أحد من أهل بيوتات الطالبين من إطلاق القول فى هؤلاء أنهم خوارج أدعياء وأن هذا الانكسار لباطلهم كان شائعاً بالحرمين وفى أول أمرهم بالمغرب ، منتشراً انتشاراً عظيماً وأن هذا القائم بمصر هو وسلفه (كفار وفساق وزنادقة ملحدون) معطلون وللإسلام جاحدون ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون . عطلوا الحدود وأباحوا الفروج وأحلوا الخمور وسفكوا الدماء وسبوا الأنبياء وادعوا الربوبية . وكتب فى ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة وشهد بذلك من العلويين الشرفاء المرتضى والرضى الموسويان

وجماعة من كبار العلوية وشهد من الفقهاء المعتبرين الشيخ أبوحامد الأسفرايني وأبو الحسن القدورى وقاضى القضاة أبو محمد بن الأكفانى وأبو عبد الله البيضاوى ، وخلق ، وقد قرىء هذا المحضر على المنابر ببغداد وغيرها من البلاد(١) » . ! !

* * *

على أن لعلاقة القرامطة بالفاطميين دلالة فى الموضوع . فمن المعروف أن أكثر القرامطة وكبارهم بخاصة قد رفضوا الاعتراف بأبى عبيد الله المهدى وبصحة نسبه ، ودخلوا معه فى حرب كلامية ، كان من الممكن أن تتطور إلى حرب حقيقية لولا انشغال المهدى بمشكلاته أمام الثائرين أتباع الشيعى المقتول فى المغرب . . . ولاينكر أحد أن القرامطة من غلاة الشيعة ، وأن لرأيهم وزناً فى هذا المجال. وقد اضطر أبو عبيد الله المهدى — مداراة لهم — إلى أن يخطب ودهم ، حيث لم يكونوا يعتقدون فى أحقيته بالإمامة ، وفى أنه بديل لمحمد بن إسماعيل المهدى والقائم فى زعمهم ، وتمكن عبيد الله فى النهاية من تعين رئيس قرمطى موال له فى سنة٣٠٥ هـ ، وظل هذا الزعيم على إخلاصه لعبيد الله ثم القائم حتى توفى سنة ٣٢٢هـ(٢) . وقد نجح

(١) راجع حوادث سنة ٤٠٢ فى المطولات : الكامل ، والبداية والنهاية ، وفى شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ٣-١٦٢ ورد بألفاظ مختلفة قليلا .

(٢) انظر د ـ محمد السعيدجمال الدين : دولة الإسماعيلية فى إيران ص ٦٢ مطابع سجل العرب سنة ١٩٧٥ .

الفاطميون بعد ذلك فى شراء كثير من زعماء القرامطة بهداياهم وأموالهم . بل إن قيام الدولة الفاطمية كان سبباً فى إحداث انشقاق فى الحركة القرمطية أدى إلى انصراف كثير من أتباعها عنها وعن المذهب الاسماعيلى كله لانهيار هذه العقيدة الأساسية أمام عينيه (١) — فى ظل تجربة الفاطميين — ! ! .

وفى المغرب الإسلامى حيث سيطرت الدولة الفاطمية لم يقتنع أحد من أهل السنة ، وجمهور زناتة وصنهاجة بدعوى الفاطميين ، وفضلا عن الثورات التى قامت بعد مقتل عبيد الله الشيعى ، فقد بقيت حركات العصيان مستمرة . ولم يكن الأمر أمر العباسيين ولا أمر القرامطة ولاالشيعة العاديين فى الخلاف على أبى عبيد الله المهدى فقط ، بل إن واحداً من أكبر الدعاة الشيعة فى اليمن وهو على بن الفضل لم يكن مخلصاً فى ولائه للفاطميين ، وكان — فيما يبدو — يعتقد بأن أبا عبيدالله المهدى ركب الدعوة الفاطمية سلماً لتحقيق مآرب دنيوية . فعندما خرج على بن الفضل على « المهدى » وكلمه ابن حوشب (الداعى باليمن) فى أمر الاتحاد على أبى عبيد الله المهدى ، رفض ابن الفضل ذلك ، وقال له : « إنما هذه الدنيا شاة ومن ظفر بها افترسها » ! ! ولم يكتف ابن الفضل بالخروج على عبيد الله المهدى بل ثار أيضاً على الداعى ابن حوشب طمعاً فى استخلاص اليمن لنفسه(٢) .

(١) المكان السابق .

(٢) د ـ محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ١٣٩٦ هـ ص ٧٣.

ولما توفى ابن حوشب أمير الدعوة فى اليمن ، وتقلدها بعده أبو الحسن ، مال إلى الحق ، وانقلب على الفاطميين ، واعتنق مذهب السنة ، وجمع الناس وأشهدهم أنه رجع عما كان عليه أبوه فأحبه الناس ودانوا له بالطاعة ، وتتبع أبو الحسن أنصار الدعوة الإسماعيلية تتبعاً مقروناً بالشدة والعسف(١) .

وهذا هو سلوك أقطاب الدعوة الفاطمية إزاء خلفائها . . . ألا نرى أنه سلوك مريب؟ ! ! .

ومعروف أمر أبي الحسن الذى ذكرناه ، والذى تصدى لتكذيب صحة النسب الفاطمى ، وهو من كبار الشيعة ، وجدير بالذكر أنه لما توفى أبو الحسن رجع أحد كبار الإسماعيلية عن شيعيته ويدعى إبراهيم بن عبد الحميد الشيعى وأقام الخطبة لبنى العباس ، ولم يزل يتتبع الإسماعيلية ويقتلهم حتى قضى على الكثيرين منهم فى اليمن . ومما يبعث على الشك — كذلك — ذلك الاختلاف الكبير فى نسب الفاطميين . . قال صاحب تاريخ القيروان :

هو عبيد الله بن الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم .

وقال غيره :

(١) السابق ٧٨ .

هو عبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر المذكور .

وقيل : هو على بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه .

وقيل : هو عبيد الله بن التقى بن الوفى بن الرضى وهؤلاء الثلاثة يقال لهم المستورون فى ذات الله . والرضى المذكور : ابن محمد بن إسماعيل ابن جعفر المذكور واسم التقى : الحسين . واسم الوفى : أحمد . واسم الرضى : عبد الله . وإنما استتروا خوفاً على أنفسهم لأنهم كانوا مطلوبين من جهة الخلفاء من بنى العباس وإنما تسمى المهدى عبيد الله استتاراً . هذا عند من يصحح نسبه ففيه اختلاف كثير(١) .

* * *

وإذا ذهبنا نتتبع سلوك هؤلاء الناس لم نجد فيه ما يؤكد لنا انتماءهم لأهل البيت .

فعلى امتداد ستة عقود (٢٩٨ — ٣٦١ هـ) حكموها فى المغرب ، ولأكثر من قرنين حكموها فى مصر — فقد نشروا من الخرافات والبدع مالا أصل له لا فى كتاب ولا سنة ، ولجئوا — هم ودعاتهم — إلى ضروب من الحيل والدجل لإقناع الناس بهم وبدعواهم . . وهى ضروب لا يمكن أن تصدر عن ناس ينتسبون إلى أهل البيت . وإنما هم —

(١) انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣-٣٠١ الطبعة الأولى .

كما ذكر على بن الفضل — أكبر دعاة الشيعة فى اليمن — مثله تماماً .. مفترسون لشاة الدنيا . طلبوها من غير طريق ... وإن من يتصفح حياة داعيهم الأكبر ومؤسس دولتهم أبو عبيد الله الشيعى ، ويجد عشرات الحيل التى خدع بها كتامة وما تظاهر به من علم الغيب ليستبعد استبعاداً كاملا أن يكون هؤلاء من أهل البيت[1].

وليس شرطاً أن يكونوا يهوداً أو نصارى . . . كما يرى بعض المؤرخين . . فليس الأمر هذا ولاذاك ، وإنما أغلب الظن أنهم مشعوذون ركبوا دعوى آل البيت . . . للوصول إلى الحكم ، وهذه الدعوى كانت طريقاً شرعياً من طرق الوصول إلى الحكم فى تلك العصور حتى ولو كان ممثلوها غير مؤهلين — لا بأفكارهم ولا بسلوكهم — لقيادة الأمة .

وكيف يمكن أن يكون من أهل البيت هؤلاء الذين وضعوا أيديهم فى أيدى القرامطة الذين اعتدوا على الحرم واقتلعوا الحجر الأسود . . . يقول ابن كثير الدمشقى المؤرخ :

« إنما حمل القرامطة على الاعتداء على الحرم واقتلاع الحجر الأسود أنهم كفار زنادقة ، وقد كانوا ممالئين للفاطميين الذين نبغوا بإفريقية ويلقب أميرهم بالمهدى ، وهو أبو محمد عبيد الله ابن ميمون القداح ، وقد كان صباغاً بسلمية ، وكان يهودياً فادعى أنه أسلم ، ثم سافر من سلمية فدخل بلاد إفريقية فادعى أنه شريف

(١) د . محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ١٣٩٦ هـ ص ٧٣ . طبع مصر .

فاطمى فصدقة على ذلك كثير من البربر وغيرهم من الجهلة وصارت له دولة ، وكان هؤلاء القرامطة يراسلونه ويدعون إليه(١)» ! ! .

وقد كان للفاطميين من العادات والتقاليد التى يلتزم بها الحكام مع الرعية ما يوحى بأنهم أكثر من بشر . وكانوا يلزمون المتصلين بهم بأسلوب فى المعاملة الخاضعة الذليلة لا تليق بعلاقة الإنسان المسلم بأخيه المسلم حاكما كان أو محكوماً .

وقد كانت لهم جرأة كبيرة على التنكيل بمخالفيهم بأفظع الوسائل ، كما أنهم كانوا من أجرأ الناس — وبأقبح الأساليب — على سب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضلا عن قدرتهم على انتحال البدع التى لا صلة لهـا بالإسلام . وإلزام الناس بها وكأنها من شرع الله .

ومما روى أن أحد فقهاء المالكية فى المغرب ويدعى (جبله) ترك رباطه بقصر الطوب وأقام فى مدينة القيروان ، فقيل له : أصلحك الله .. كنت بقصر الطوب تحرس المسلمين وترابط فتركت الرباط والحرس ورجعت إلى هاهنا ؟ ! — فقال :

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١١-١٦١ حوادث سنة ٣١٧هـ

« كنا نحرس عدواً بيننا وبينه البحر ، فتركناه وأقبلنا نحرس الذى قد حل بساحتنا لأنه أشد علينا من الروم(١) » ! ! —

— وكيف يطمئن المسلمون إلى حكام يزعمون أنهم خلفاء مسلمون ، وأنهم من نسل على بن أبى طالب — رضى الله عنه — ومع ذلك يحتضنون ، كما فعل المعز لدين الله — شاعراً زنديقاً هو (محمد بن هانىء الأندلسى) الذى يقول لخليفتهم متحدياً مشاعر المسلمين وضارباً بها عرض الحائط :

ماشئت لا ماشاءت الأقــدار

فاحكم فأنت الواحــد القهار

— ولهذا ظل المسلمون بالمغرب يرون أن المهدى من أعقاب عبد الله بن سالم البصرى ، ومن دعاة طائفته ، بينما رأى أهل العراق أنه من أعقاب عبدالله بن ميمون القداح ، وكأن الأمر يشبه الإجماع على تكذيب نسبه فى إسماعيل بن جعفر(٢) .

ومن الحوادث الطريفة والغريبة — ما أورده ابن خلكان فى ترجمته للمعز الفاطمى — أن الخليفة أمر أولاده ورجالات دولته بالترجل على يدى جوهر الصقلى عند ذهابهم لوداعه حين خروجه على رأس الجيوش الفاطمية لفتح مصر . . .

(١) رياض النفوس (الجزء المخطوط) نقلا عن د ـ أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ص ١٩٨ نشر الإسكندرية .

(٢) انظر د ـ سعيد جمال الدين : مرجع سابق ١٦٤ .

وإلى هنا والخبر عادى لايستحق التعليق ، فهذا التواضع من البيت الفاطمى لرجل غير فاطمى — مع شذوذه — هو أمر معقول فى هذه الظروف لرجل فى طريقه ليفتح لهم ملكاً عريضاً . . ! ! .

أما بقية الخبر فيقول : إن المعز أمر صاحب برقة بالترجل لجوهر عند لقائه وتقبيل يده ، وقد كبر على الوالى ذلك ، وبذل مائة ألف دينار على أن يعفى من ذلك ، ولكنه لم يظفر بشىء(١) ! !

ونحن — والله — نعجب من هذا الإصرار على إذلال الناس ، وجعلهم يقبلون يد شخص ما ، على الرغم من امتناعهم وبذلهم مائة ألف دينار ؟ وما فائدة هذا السلوك الفاطمى الغريب ؟ وما علاقته بالإسلام ؟ ! وهل هذا من سنة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ ! .

ومن الغريب فى أمر الفاطميين : إيثارهم لليهود والنصارى فى أخطر منصب لديهم وهو منصب الوزارة ، بحيث ارتبط هذا المنصب الخطير بهم .. بل إن (داعى الدعاة) لهم فى بعض العصور كان من النصارى ، وذلك فضلا عن رجال الضرائب والكتابة والدواوين .

ومن تولى الوزارة من النصارى : زرعة بن نسطوروس ، وأخوه صاعد بن عيسى بن نسطوروس ، وأبو سعد منصور فى خلافة المستنصر ، وممن تولاها من اليهود : يعقوب بن كلس فى

(١) وفيات الأعيان ترجمة المعز لدين الله الفاطمى .

خلافة العزيز ، وأبو منصور صدقة بن يوسف الفلاحى ، وابن أبى سعد إبراهيم بن سهل التسترى (١) .

* * *

وقد عرفت مصر فى العهد الفاطمى من الشدة والضيق ما لم تعرفه فى عصورها كلها ، وإن مايعرف بالشدة المستنصرية وحده ، لكفيل بإبراز هذه الحقيقة .. وإن حوليات هذه الفترة التى حكم فيها المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٧ — ٤٨٧ هـ) لحافلة بأبشع صور الضيق التى أطلق عليها (الشدة العظمى) والتى أكل فيها الناس بعضهم بعضاً ، وأكلوا أولادهم ،وأكلوا الحمير ، والكلاب ، وبيع الرغيف بمائة دينار . . .

، وإن ما أنفقوه على المظاهر والأحفال والمزارات والقصور — من مال الأمة — ليس دليلا على الرخاء بل هو دليل على السفه والاستغلال البشع والنظر إلى أموال الأمة على أنها أموال لهم . ولمن يقدسهم ويتبرك بهم ويؤمن (بحقهم الإلهى) فى التصرف فى الأمة، تصرفاً أقرب ما يكون إلى (البابوية) فى العصور الوسطى !! .

---

(١) د.جمال الدين الشيال : دراسات فى التاريخ الإسلامى نشر دار الثقافة بيروت ص ٥٢ .

(٢) وكما يسير وراءه ويشيد به الدكتور إبراهيم شعوط ! !

وقد لخص لنا ابن عذارى المراكشى — الرأى الحاسم — فى نسب الفاطميين (١) ، فقال عن عبيد الله بن المهدى : «وقد اختلف فى نسبه : فادعى هو أنه عبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب » . وقال سائر الناس إنه دعى ، وإن انتسابه للطالبيين دعوة باطلة ، وذكروا عن أبى القاسم بن طباطبا العلوى أنه قال: « والله الذى لا إله إلا هو ! ماعبيد الله الشيعى منا ، ولا بيننا وبينه نسب» . وقال مقاتل : هو عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن البصرى» . وقد فضح القاضى أبو بكر بن الطيب الباقلانى نسبه فى « كتاب كشف الأسرار وهتك الأستار» وذكر أنهم قرامطة «وأن أبا عبد الله الشيعى أحدث لهم هذا المذهب ، ونسبهم هذا النسب . وحكى بعض المؤرخين أن جعفر ابن على كانت له جارية ، فغشيها رجل من القرامطة ، وقيل من اليهود ، دفعت له مالا ، فكان يهواها وتهواه ، وقتلت جعفرا مولاها فولدت جد عبيد الله هذا . فمن خفيت عليه هذه القصة قال إنه علوى ، ومن علمها علم دعوته وكذبه » . ! ! .

* * *

إننا — انطلاقاً من كل هذا نتشكك ، بل ونرفض ، نسبة الفاطميين إلى آل البيت ، ونعتقد أنهم قرامطة متسلطون من أصحاب العقائد المستترة ! ! . .

---

(١) البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ١-١٥٨ تحقيق بروفنسال طبع دار الثقافة بيروت .

لكن كل ذلك لا يمنعنا من أن نهتم بهم كصفحة من التاريخ ، لابد أن تدرس ، وأن تأخذ حقها من العناية وأن توضع فى مكانها الصحيح ، وتعطى حجمها الصحيح . . ! !

ومن هنا كان اهتمامنا بهذا المخطوط :

المخطوط والتحقيق : ظهر هذا المخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر ، وقد طبع طبعة عادية — غير محققة بمطبعة جول كربونل بالجزائر سنة ١٣٤٦هـ عن نسخة محرفة ، كان الفراغ من نسخها يوم الجمعة أوائل ذى الحجة عام ١٢٦٥ هـ .

وقد كان ظهور المخطوط خالياً خلواً كاملا من التعليقات ، ومن التحليل ، ومن التعريف بالمؤلف — عملا ناقصاً لا يحقق الفائدة العلمية المرجوة منه . ولذا فقد اعتمدنا على النسختين المخطوطة والمطبوعة فى تحقيق المخطوط ، تحقيقاً علمياً ، مع التعريف بمؤلفه ، وتحليل ما ورد فيه ، تحليلا يضع الأمور فى نصابها السليم .

أما المخطوط الذى بين أيدينا ، فقد حقق اعتماداً على نسختين : إحداهما نسخت سنة ١٢٦٥م وتوجد بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم ١٥٨٨ وهى تقع فى أربع وتسعين ورقة .

والثانية نسخت سنة ١٨٨٦ ، وهى موجودة بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ١٨٨٨ ، وملحقها الإضافى تحت رقم ٢٤٥٦ ، ويقع الملحق فى ٣٣ ورقة .

وقد ترجم شاربينو (Charbenncou) الفرنسى الجزءين السابقين ، ونشرهما بالمجلة الآسيوية ، ويقول : (فاندرهيد) ناشر الكتاب نشراً غير محقق « إنه لم يعثر على المخطوط الذى أخذ منه واعتمده شاربينو » . . .

وقد نهجنا فى تحقيقه النهج الإسلامى التاريخى فلسنا نتعبد بما ورد فى التراث ، وإنما نضعه على محك الحق والعدل ، ونقبل منه ما نقبل ونرفض ما نرفض . . .

وثمة كلمات قليلة جداً لم نهتد فيها إلى شىء فلم نعتد عليها أو نغيرها بل تركناها كما هى . وثمة عبارات استعملها المؤلف فيها أخطاء نحوية اضطررنا لتصحيحها مع التنبيه عليها . . أما أساليب التعظيم التى لا نقرها فقد أبقيناها كما هى ، وعلقنا — فى بعض الأحيان — عليها .

وقد بين لنا المؤلف مصادره وهى :

١ — ما التقطه من مفرقات التواليف .

٢ — ما عرفه به الثقات لديه .

والحق أن هذه المصادر — كما نرى — ليست كافية للتوثيق ، كما أن المؤلف لم يبينها لنا على وجه التفصيل . ومن هنا كانت لتحليلاتنا

مبرراتها المشروعة، فى تلك الحدود التى التزمنا بها ، وهى أن نقدم النص بأمانة . . .

والله من وراء القصد

المحققان

د. عبد الحليم عويس — د. التهامى نقرة

غرة رجب سنة ١٤٠١ هـ

المخطوط

الحمــد لله

قال الشيخ الفقيه الأعلم الأعرف الأوحــد العالم القــاضى أبو عبد الله محمد بن على بن حماد .

الحمد لله الذى لا يزال ملكه ، ولا ينتقل ملـكه . وصلى الله على سيدنا محمد الذى نسخت ملته الملل ، وفسخت دولة ملته الدول .

فهذه جملة من أخبار بنى عبيد الله قيدتها فى هذا التأليف ، فبعضها التقطته من مفرقات التواليف ، وبعضها عرفنى به من وثقت منه بالتعريف . ودعانى إلى هذا التأليف ، ما دعا المؤلفين المؤرخين إلى أمثاله ، وما من شىء إلا وقد أفرغ فى قالبه ونسج على منواله ، ولله الحمد من قبل ومن بعد ، ومنه يسأل العون والقصد .

عبيد الله

اختلف الناس فى نسبه إلى الحسين بن على عليهما السلام : فمن مسلمين ما ادعاه ومقرين بما حكاه (١) ، ومن دافعين وما نعين ما انتحله (٢) ، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم الله . فالذى ادعاه هو أنه عبيد الله بن محمد بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر ابن محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم والذى ادعاه الناس لا برهان عليه فلا حاجة لى إليه (٣) .

ولد عبيد الله بسلمية (٤) من بلاد الشام (٥) وقيل ببغداد

---

(١) منهم ابن الأثير فى الكامل جـ ٨ ص ٨ ، ٩ طبعة ١٢٩٠هـ وابن خلدون فى المقدمة ص ١٢١ ط ١٩٠٠م .

(٢) منهم ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٦٠٩ ط ١٩٤٩ والباقلانى : أنظر أبا الفداء جـ٢ ص ١٥١ .

(٣) هذا تأييد من المؤلف لإثبات نسب عبيد الله المهدى إلى على بن أبى طالب وهو الأمر الذى لا يقره البحث التاريخى الحديث . بل إنه اعتبر من أوهام ابن خلدون الكبرى . (وانظر ما كتبناه فى المقدمة حول هذا الموضوع) .

(٤) سلمية : بلدة فى ناحية البرية من أعمال حماه بالشام تقع شمال شرق حمص على مسافة ٥٥ كم وقد اتخذها أئمة الاسماعيلية مركزا لنشر دعوتهم إلى كافة الأقطار الإسلامية . انظر معجم البلدان ــ ج ٣ ص ٢٤٠ ط ١٩٠٠ وانظر :

Frgments selatifs a la doctrine de ismaelis (paris, 1844), pp. 188-9-

(٥) هو ما اعتمده أكثر المؤرخين .

سنة ٢٦٠ (١) . روصل إلى مصر فى زى التجار وهو يطلب الأمور الكبار ، سنة ٢٨٩ . والطلب عليه من بنى العباس حثيث والكتب تنفذ إلى سائر الأمصار ، وعامة الأقطار ، باسمه وصفته ، وزيه وهيئته ، وبأن يقبض عليه متى عرف ، وأن يثقف(٢) متى ثقف ، فلم يزل بكل بلدتذكى عليه العيون ، وتظن بأشياعهالظنون ، ويخلص من أيدى الحكام ،وولاة الأحكام ، خلاص الأمن من نسج المرام إلى أن وصل إلى سجلماسة(٣) إما بعلم سبق ، وإما بشىء اتفق .

فظهر بها فى يوم الأحدالسابع من ذى الحجة سنة ٢٩٦ . فأخذ هو وابنه أبو القاسم واعتقل ، وقيد كلاهما بالحديد وأثقل . وفى خلال هذا أقام أبو عبدالله هو والحسين بن أحمد بن محمد ويعرف بالمحتسب (٤) يقال إنه كان محتسباً بسوق الغزل بالبصرة ويقال إن

(١) وقيل بالكوفة انظر وفيات الأعيان جـ١ ص ٢٧٢ ط ١٩٤٩ .

(٢) يثقف متى ثقف : أى يقوم حيث وجد . وفى بعض النسخ جاءت « يثقف حيث ثقف » .

(٣) سجلماسة : مدينة فى جنوب المغرب الأقصى يجرى فيها نهران أصلهما واحد ، فإذا قربا من المدينة تشعبا إلى نهرين يسلكانها شرقا وغربا وكان بناؤها سنة ١٤٠هـ وفى سنة ١٦٠ اتخذها بنو مدرار حاضرة لملكهم « انظر البكرى ص ١٤٧ — ١٤٨» وبينها وبين فاس عشرة أيام وهى فى منقطع جبل درن (انظر معجم البلدان لياقوت الحموى جـ٣ ص ١٩٢ دار صادر بيروت) وانظرها فى صفحة ٤٠ من هذا البحث .

(٤) قال بذلك ابن خلدون ج ٤ ص ٣٢ ، أما المقريزى فقال : إن أبا عبد الله نفسه كان محتسبا فى أحد أعمال بغداد لا البصرة . خططـج : ٢– ص ١٠ =

المعروف بالمحتسب هوأخوه أبوالعباس ، ويعرفأبو العباس بالمخطوم أيضاً ، ويعرف أيضاً أبوعبدالله بـالمعلم(١) لأنه كان يعلم الناس مذهب الإمامية الباطنية ، وفيهم ألف الإمام أبو حامد الغزالى كتاب المستظهرى(٢) بأمر المستظهر صاحب بغداد :

فلما تم لأبى عبيدالله ما أراد ، قاد الأجناد ، والأنجاد ، واستفتح المدن وملك البلاد ، وبنى بموضع يعرف بإيكجان(٣) على مقربة من قسنطينة مدينة وسماها دار الهجرة ، وسمى أتباعه وأشياعهمن

=وكان أبو العباس المخطوم عجولا كثير الكلام ضعيف العقلأراد أن ينى من القيروان كل من يذهب من الفقراء فذهب أهل المدينة فلم يجب لذلك (انظر البيان المغرب ١-٢٥٦) .

(١) ويعرف أيضاً بالشيعى وهو من صنعاء اليمن (وفيات ج : ١ — ص : ٤٤٣-ط١) .

(٢) المستظهرى أو فضائح الباطنية : كتاب ألفه الغزالى فى عهد الخليفة العباسى المستظهر للرد على دعوة الحسن الصباح الذى ابتدع نظرية الإمام المستور والدعوة إليه ، حققه ونشر بعضه جولد تزيهر سنة ١٩١٦ ثم نشر كامل أجزائه عبد الرحمن بدوى سنة ١٩٦٤ — والغزالى هو أبو حامد الحجة المعروف وصاحب الإحياء والمنقذ والتهافت وقد توفى سنة ٥٠٥هـ (انظر وفيات الأعيان ٣ ص ٣٥٣ ومعجم المؤلفين ١١ ص ٢٦٦ والوافى بالوفيات ١ ص ١٧٦) .

(٣) إيكجان : أرض جبلية منيعة على مقربة من مدينة قسنطينة . كانت تسكنها قبائل من كتامة (البكرى . ص : ٦٣ — ٦٤) وقسنطينة من مدن الشرق الجزائرى على البحر المتوسط .

كتامة(١)و غيرهم المؤمنين ، وإذا ركب نادى مناديه فى الجيش : ياخيل الله اركبوا ، وكتب على أفخاذ الخيــل : الملــك لله ، وكتب فى بنوده «سيهزم الجمع ويولون الدبر(٢) » وآيات كثيرة من القرآن ، ونقش فى خاتمه الذى يتختم به : «فتوكل على الله إنك على الحق المبين (٣)» وفى خاتمه الذى يختم به على السجلات « تمت كلمة ربك صدقا وعدلا — لامبدل لكلماته وهوالسميع العليم(٤)» .

ثم وطىء إفريقية(٥) وملكها عنوة ،وكان زيادةالله آخر ملوك بنى الأغلب من عمال بنى العباس فيها ، وأمرائهم عليها ، فلما فل الشيعى على ملك بنى الأغلب جموعه ، وملك عليه ملكه جميعه ، شمّر أذياله ، وضم أثقاله ، واتخذ الليل جملا ، وسار من رقادة(٦)

(١) كتامة : اسم قبيلة كبرى بالمغرب ، ولمعرفة أصل هذه القبيلة انظر : «كتاب الأنساب للسمعانى ص ٤٤٤ و ٥٤٥ » ، وانظر ابن خلدون الجزء السادس من العبر ، وانظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم قسم أنساب البربر فى خاتمة الكتاب بتحقيق عبد السلام هارون .

(٢) سورة القمر (٤٥) وفى الأصل (الأدبار) وهى خطأ .

(٣) سورة النمل (٤٩) .

(٤) سورة الأنعام (١١٥) وفى الأصل (وتحت كلمات) .

(٥) المراد بإفريقية تونس وحدها .

(٦) رقادة : بلدة تقع على بعد ٨ كم جنوب القيروان أسسها إبراهيم بن أحمد ابن الأغلب سنة ٢٦٣ وبنى بها قصورا عجيبة وجامعا وأسواقا وحمامات وفنادق ، فلم تزل بعد ذلك دار ملك بنى الأغلب إلى أن هرب عنها زيادة الله من أبى عبد الله الشيعى وسكنها عبيد الله المهدى إلى أن انتقل إلى المهدية سنة ٢٠٨هـ وكان احتلاله =

قبيلا متحملا ، وكانت رقادة دار ملك بنى الأغلب وتوجه إلى الشرق متخلصاً بجريعة الذقن(١) فى سنة ٢٩٦ هـ .

وأقبل الشيعى إلى رقادة فى سبعة عساكر(٢) فيها ثلاثمائة ألف بين فارس وراجل ، فدخل رقادة وبين يديه رجل يقرأ « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر (٣)» الآية و « كم تركوا من جنات وعيون » الآية (٤) .

فنزل بالقصر المعروف بقصر الصحن(٥) وأمر بقتل السودان من موالى بنى الأغلب فقتلوا عن آخرهم ، وكبوا على مناخرهم .

= لرقادة فى شهر ربيع الأول سنة ٢٩٤هـ واستقر بها ملكه فمدحه الشعراء وغالوا فيه حتى قال بعضهم أخزاه الله :

حل برقادة المسيح   حل بها آدم ونوح
حل بها الله ذو المعالى   وكل شىء سواه ريح

(ياقوت — ج : ٣ — ص : ٥٥ . ط ١٩٠٤) .

(١) أى بصعوبة شديدة .

(٢) المراد بالعساكر : الجيوش .

(٣) سورة الحشر آية (٣) ويلاحظ أن وضع الآية القرآنية المذكورة فى هذا الموضع تحريف لها عن مكانها الصحيح .

(٤) سورة الدخان آية (٥) ويقال عن هذه الآية ما قيل فى سابقتها من سوء الاستخدام للقرآن فى غير ما نزل له .

(٥) قصر الصحن : فى مقدمة قصور رقادة و « قصر الصحن » وجه تسميته بذلك فيما يبدو — أنه احتوى على صحن فى وسطه رحبة فسيحة ، وكان هذا القصر حافلا بمخادع خاصة للحريم ومقاصر وحمامات ، وفى داخله فيما نعتقد أقام الأمير جناحا مستقلا ليكون مقراً لبيت الحكمة . (ورقات حسنى عبد الوهاب : ج ١ ص ٣٦٤) .

ووجه إلى طرابلس فأوتى منها بأخيه أبى العباس المخطوم ، وكان محبوساً بها وبأم أبى عبيد الله ، وكانت هناك مع الحوازن (١) .

ثم توجه بملء الأرض من الخيل والرجال إلى سجلماسة(٢) فى سنة ٢٩٦ المذكورة، واستخلف على إفريقية أخاه أبارك تمام بن معارك(٣) فوصل إلى سجلماسة وأحاط بها وحازها وافتتحها ، واستنقذ عبيد الله وابنه أبا القاسم، وقاد له فرسا عتيقاً فركبه وخرج من الموضع الذى اعتقل فيه، وقد لبس ثياباً نفيسة فاخرة، وتردى

(١) أى الغارقة فى الحزن .

(٢) سجلماسة : بكسر أوله وثانيه وسكون اللام وبعد الألف سين مهملة : مدينة فى جنوب المغرب فى طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب وهى فى منقطع جبل درن وهى فى وسط رمال كرمال زرود ويتصل بها فى شماليها جدد من الأرض يمر بها نهر كبير يخاض قد غرسوا عليه بساتين ونخيلا مد البصر وأكثر أقوات أهل سجلماسه التمر وغلتهم قليلة ولنسائهم يد صناع فى غزل الصوف فهن يعملن منه كل حسن عجيب بديع من الأزر تفوق القصب الذى بمصر يبلغ ثمن الازار خمسة وثلاثين دينارا وأكثر كارفع ما تكون فى القصب الذى بمصر ويعملون منه غفارات يبلغ ثمنها مثل ذلك ويصبغونها بأنواع الأصباغ وبين سجلماسه ودرعه أربعة أيام وأهل هذه المدينة من أغنى الناس لأنها على طريق من يريد غانة التى هى معدن الذهب ولأهلها جرأة على دخولها انظر معجم البلدان لياقوت ج٣ ص ١٩٢ ط دار صادر .

(٣) كذا فى النسخة : والصواب : أبا زاكى تمار بن معارك . وكان يذهب مذهب أبى عبد الله الشيعى فى الغدر بعبيد الله المهدى . (البيان المغرب . ج ٤ ص ٢٢٥ : طبعة ١٩٥٠) .

برداء سرب (١) وانتعل نعلا عربية ، وكان ملبسه أبداً سرياً وطيبه كثيرا ، وسلم عليه بالإمامة فى شهر ربيع الآخر سنة ٢٩٧ .

وتوجه إلى إفريقية فنزل رقادة، وأقام بها إلى أن بنى المهدية، ونسبها بالمهدية إلى نفسه، وكانت تسمى حمة وجزيرة القار(٢)، وكان له بصر بعلم النجوم فاختطها بطالع الأسد لأنه برج ثابت ، ولذلك ثبتت ، ولأنه بيت الشمس الذى هو دليل الملوك ، ولذلك كان الملك فيها . وعاد بعد استيطانه القيروان إليها بإذن الله عز وجل وعلى رأى أهل الصناعات النجومية ، وفى وضعها ببرج الأسد يقول أبو عبيد الله بن حبوس الفاسى(٣) . فى سيدنا الخليفة الإمام الأول أمير المؤمنين رضى الله عنهم :

بطالع الأســـد اختط البناء بها   لكنك الأسد الدامى الأظافير (٤)

(١) لا معنى لهذا الوصف ولعله سرى ولكن هكذا أوردت فى النسخة المطبوعة .

(٢) المهدية شبه جزيرة تقع فى المكان الذى كان يسمى بجزيرة الخلفاء بناها المهدى وأحاطها بأسوار حصينة وجعلها عاصمة ملكه سنة ٣٥٨هـ . ويؤثر عنه أنه قال حين فرغ من بنائها : اليوم أمنت على الفاطميات . (ياقوت معجم البلدان — ابن خلدون) .

(٣) شاعر توفى بحلب سنة ٤٤٣ . انظر ترجمته فى ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ . ص : ١٠ ومعجم المؤلفين ج ١٠ ص ٤٤ ط ١ .

(٤) كلام ابن حماد فى هذا الشأن لا يوافق الإسلام فى قليل ولا كثير فليس برج الأسد سبب ثبات المهدية ، وقد تعرضت المهدية لما تعرضت له سائر المدن ، وهى الآن مدينة شبه مغمورة فى تونس .

وبنى بها قصره المعروف به وهو باق إلى الآن ، وبنى قصراً لابنه أبى القاسم ، وبنى دار الصناعة الموجودة فيها إلى اليوم ، وأمر بهدم قصور بنى الأغلب بجميع بلاد إفريقية وتخريبها وطمس معالمها . ومحو آثارها ورسومها(١) ، وجعل للمهدية أبراجا من جهة البر ، وهى الجهة الغربية وليس البر منها إلامن هذه الجهة ، وجعل لها بابين من حديد صرف ، وفى ذلك يقول ابن حبوس من القصيدة المذكورة :

باب حـديد وأبراج ثمانيـة
تـسخر العقل فيـه أى تسخير

ورمى عبيد الله بسهم من البـاب إلى موضع المصلى وقال : إلى هاهنا يبلغ صاحب الحمار يعنى أبا يزيد مخلد بن كيـداد الأباضى (٢) الخارج عليهم فى أيام أبى القاسم القائم بن عبيد الله وقال أنا بنيتها لصيانة ألف رياضة فيها ولو ساعة من نهار يعنى

(١) وهذا مثلب يؤخذ على الفاطميين . و(محو) مكتوبة فى الأصل بالياء وهو خطأ .

(٢) أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى : صاحب الحمار الخارج على الشيعة سنة اثنتين وثلاثمائة الدائن بدين الخارجية أخذ العلم بتوزر عن مشيختها ورأس فى الفتيا وقرأ مذاهب الأباضية من الخوارج وصدق فيه ، ثم لق عماراً الأعمى الصفرى النكار فتلقن عنه من مذاهبهم ما انسلخ من آية السعادة بانتحاله وهو مع ذلك من الشهرة فى هذا الجيل بحيث لا يغفل . انظر تاريخ ابن خلدون المجلد السادس — القسم الأول — ص ٢١٠ ط دار الكتاب اللبنانى سنة ١٩٥٨م .

ساعة وصول أبى يزيد مخلد بن كيداد إلى المصلى ، وانحياش الناس منه فى المهدية ، وكذلك كان الأمر ، بلغ إلى المصلى ، ثم انهزم ولم يزل منهزماً من جهة إلى جهة ، والناس كلهم له حرب إلى أن نقض وانقرض على ما يأتى ذكره فى أيام إسماعيل المنصور .

واستقر عبيد الله بالمهدية سنة ٣٨ (١) ، وقتل أبا عبيد الله الداعى وأخاه أبا العباس بن زنادة يوم الثلاثاء سنة ٢٩٨ ببستان فى القصر ، وأمر بهما فغسلا وكفنا وصلى عليهما ، وأقبل على أبى عبد الله فقال : رحمك الله أبا عبد الله وجزاك الله فى الآخرة بتقديم سعيك ، والتفت إلى أبى العباس فقال : ولا رحمك الله يا أبا العباس فإنك صددته عن السبيل وأوردته موارد الهلاك ، ثم قرأ « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً » الآية(٢) ، وأمر بدفنهما فى موضعهما الذى قتلا فيه من البستان ، ثم قتل جميع من والاهما من شيوخ كتامة ، وقيل لأنهما(٣) ارتدا عليـه وقالا لكتامة إنا غلطنا فيه ، وأن الامام الذى دعونا إليه له علامات ويأتى بآيات ويطبع بخاتمه فى الحجر كما يطبع فى الشمع .

وخلص لعبيد الله الأمر وصفا له الملك ، فملك إفريقية كلها ،

(١) خطأ فى الأصل والصحيح سنة ٢٩٨هـ .

(٢) سورة الزخرف آية رقم ٣٦ .

(٣) أى أبا عبيد الله الداعى وأخاه .

والمغرب بأسره ، وأطرابلس وجربة وصقلية(١) ، ووجه ابنه وولى عهده أبا القاسم إلى ديار مصر دفعتين الأولى منهما فى سنة ٣٠١ فملك الأسكندرية والفيوم وجبى خراجهما وخراج بعض عمال الصعيد والثانية فى سنة ٣٠٦(٢) .

وكان المقتدر بن المعتضد بن الموفق المتوكل صاحب بغداد(٣)

---

(١) أطرابلس هى أطرابلس ليبيا ، وجربة هى بالفتح أو الكسر ثم السكون قرب قابس بتونس يسكنها البربر وقال البكرى وعلى مقربة من قابس جزيرة جربة وفيها بساتين كثيرة انظر معجم البلدان جـ٢ ص ١١٨ ط دار صادر بيروت ١٩٥٥م .
وصقلية من جزائر بحر المغرب مقابلة لإفريقية وهى مثلثة الشكل خصبة كثيرة البلدان والقرى ، انظر المصدر السابق .

(٢) دأب الفاطميون على غزو مصر ؛ لأهميتها فأرسلوا الحملات البرية والبحرية منذ عبيد الله المهدى وكان عدد حملاتهم إليها ثلاثا عدا الحملة الأخيرة ، وكانت الأولى سنة ٣٠١ والثانية سنة ٣٠٧ والثالثة سنة ٣٢١ وقد استمرت الأولى عامين والثانية عامين والثالثة أربعة أعوام وقد فشلت هذه الحملات الثلاث ؛ لأن مصر كانت من القوة بحيث استطاعت أن ترد عنها غارات الفاطميين حتى جاء المعز رابع الخلفاء الفاطميين فأرسل جيشه لغزوها فنجح فى ذلك لقيام الاضطرابات بمصر وانتشار الفوضى على إثر وفاة كافور ، وقد لعب النصرانى يعقوب بن كلس دوراً هاماً فى مساعدة الفاطميين على غزو مصر (راجع الدكتور على ابراهيم فى كتابه تاريخ جوهر الصقلى) ص ٢٥ ، ٢٦ ط ٢ نشر مصر .

(٣) تولى الخلافة بعد أخيه المكتفى بالله سنة ٢٩٥ وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة وأمه أم ولد اسمها شغب — ولقب بالمقتدر بالله وكانت خزانة الدولة عامرة فأجهز عليها لحداثته وسفاهته ، وقد استوزر كثيرين منهم : أبو الحسن على بن الفرات (انظر البداية والنهاية لابن كثير حوادث سنة ٢٩٥) .

قد وجه لمدافعته ومحاربته فى الدفعتين مؤنسا الخادم الذى يعرف بالفحل ، ويدعى المظفر(١) ، وكانت بينه وبين حباسة بن يوسف الكتامى وهو أحد قواد كتامة حروب ووقائع كثيرة مبيدة مبيرة ، وكان جيش أبى القاسم فى الدفعة الأخيرة خمسمائة ألف ، فعرضه عند رجعته فوجدة خمسة عشر ألفاً أفناهم القتل والجوع والوباء (٢) ، وخرج أبو القاسم إلى المغرب فى جيش عظيم لتسع ليال مضين من صفر سنة ٣١٥ . وقد كان محمد بن خزر الزناتى (من) (٣) . زعمائهم وكبرائهم وعظمائهم قبـــل ذلك أوقع بعسكر كتامة عليه أبو عروس وإسحاق بن خليفة قائدان منهم ، وعظم الخطب فى المغرب ، وتفاقم الأمر مع ما تقدم قبل ذلك له من قتل مصالة بن حبوس وغيره من قوادهم أيضاً ، فلما وصل أبو القاسم إلى المغرب توغل أبو خزر فى الصحارى على المهارى ، وهدن أبو القاسم المغرب وقضى منها المـــأرب ، وانصرف وفى انصرافه هذا مر بوادى سهر فاختط مدينة المسيلة(٤) رسمها برمحه

---

(١) كان مؤنس الخادم قائدا من قواد المقتدر وقد أوقع بالروم فى سنة ٣٠٢ وأسر منهم مائة وخمسين بطريقا (انظر البداية والنهاية حوادث سنة ٣١٢ وانظر سنة ٣١٧) .

(٢) نرجح أن هذا الرقم — وما قبله — مبالغ فيهما .

(٣) فى الأصل وزعمائهم — والمعنى لا يستقيم إلا بإضافة حرف من .

(٤) المسيلة بفتح ثم كسر ويقال عنها المحمدية : مدينة بالمغرب اختطها أبو القاسم محمد بن المهدى سنة ٣١٥هـ وهو يومئذ ولى عهد أبيه ، وأبو القاسم هذا هو الملقب بالقائم بعد المهدى من المنتسبين إلى العلويين ، والمسيلة بنواحى الزاب من =

وهو راكب على فرسه وأمر على بن حمدون الجذامى المعروف بابن الاندلسية(١) أن يبنيها ويحصنها ويحسنها وسماها المحمدية باسمه .

وهذا يدل على أن اسمه محمد بخلاف من يقول أن اسمه عبد الرحمن ، فبناها وجعل لها بابين ، وسمى أحدهما باب القاسمية منسوبة إلى أبى القاسم وسمى الثانى باب الأمور ، ووصلت هذه المدينة من العمارة والحضارة ، وملك على بن حمدون فيها وابناه(٢) جعفر ويحى — إلى الغاية القصوى ، والأمد الأقصى ، وأمر أن يدخر فيها الأقوات ، وأنواع المأكولات ، وكل ما تنضم إليه الضرورة ففعل ، وزاد فاحتفل ، وكان إذا ارتفعت الأسعار ، وأغبت الأمطار ، يكتب إلى أبى القاسم وهو ولى عهد أبيه وبعد إفضاء الأمر إليه يستأذنه فى البيع ، ويعلمه بما فى ذلك من الزيادة والنفع فيأباه وينهاه ويأمره بالاستكثار والادخار ، ويعلمه أنه سيحتاج إليه ويضطر نحوه . فلم تزل تلك الأطعمة مصونة مختزنة

= أرض المغرب) أنظر معجم البلدان جـ٥ ص١٣٠ وص٦٤ ط دار صادر بيروت ١٩٥٥ م وهى تابعة الآن للجزائر قرب العاصمة .

(١) ذكره ابن خلدون فى أواخر الكلام عن دولة بنى حماد فقال : (فبعث عنه القائد على بن حمدون فوصل وبايعوه وصالح زناتة وأصهر إلى ماخوخ فأنكحه ابنته وطال أمر ملكه وكانت أيامه هدنة وأمنا) انظر تاريخ ابن خلدون ٦ القسم الثانى ص ٣٦٢ .

(٢) فى الأصل وابنيه وهو خطأ نحوى ظاهر .

إلى فتنة أبى يزيد ، وخرج إسماعيل المنصور (١) إليه وأتباعه ، فكانت عوناً له ولأنجاده وإمداده عند وصوله إلى جبل كياتة(٢) ، وحصره أبو يزيد فيها . وبين المسيلة والجبل الذى حصره فيه وهو المطل على القلعة وسيأتى ذكره بعد هذا أثنا عشر ميلا فكانت ميرتهم منها وارتفاعهم بها ولم يكن فى تلك الجهات إذ ذاك مدينة غيرها .

وكان أبو القاسم يركب بالمظلة فى أيام أبيه ، وباسمه كانت تنفذ الكتب والعهود ، وإليه ترفع المسائل وعليه تفد الوفود . وكان أبوه كلفا به شديد المحبة له ، متيمنا لكل ما عسى أن يفعله ، وكذلك هو كان لأبيه بارا به ممتثلا لأمره مغتنما لمرضاته . والمظلة التى اختصوا بها من دون سائر الملوك شبه درقة فى رأس

(١) أبو الطاهر اسماعيل الملقب بالمنصور بن القائم بن المهدى صاحب إفريقية ، بويع المنصور يوم وفاة أبيه القائم وكان بليغا فصيحا وكان أبوه قد ولاه محاربة أبى يزيد الإباضى الخارج عليه وخرج من شهر رمضان سنة ٣٤١هـ من المنصورية إلى مدينة جلولاء ليتنزه بها ومعه حظيته قضيب ، وكان مغرما بها فأمطر الله سبحانه وتعالى عليهم برداً كثيراً وسلط عليهم ريحا عظيما فخرج منها إلى المنصورية فاشتد عليه البرد فأوهن جسمه ومات يوم الجمعة آخر شوال سنة ٣٤١ ودفن بالمهدية وكان مولده بالقيروان سنة ٣٠٢ وقيل ٣٠١ وكانت مدة ملكه سبع سنين وستة أيام (انظر وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢١١) .

(٢) يوجد فى جهات المسيلة (انظر تاريخ الجزائر القديم والحديث جـ٢ ص ٨٩ — ط ١) (وانظر المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب للبكرى) (ويسميها البكرى قلعة أبى الطويل) .

رمح محكمة الصنعة رائقة المنظر ، ظرف من الصناعة فى الصياغة ونظم الأحجار الغاليـــة ما يروق مرآه ، ويدهش من رآه ، يمسكها فارس من الفرسان يعرف بها فيقال صاحب المظلة ، وكانت عندهم خطة يتداولها من يؤهل لها فيحاذى بها الملك من حيث كانت الشمس يقيه حرها بظلها . وفيه يقول محمد بن هانىء الأندلسى (١) من قصيدة يمـــدح بها معد المعـــز الذى يأتى ذكره :

وعلى أمـــير المؤمنـــين غمامة
نشأت تظلل تاجـــه تظليـــلا
نهضت بمثـــل الدرع ضوعف نسجه
وجـــرت عليـــه عسجـــدا محلولا

ولا يعـــلم أحد من المـــلوك اتخذ هذه المظلة إلا بنو عبيد خاصـــة !! .

(١) الشاعر المشهور قيل إنه من ولد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة الأزدى ، وكان أبوه من قرية قريبة من المهدية فانتقل إلى الأندلس فولد بها محمد المذكور بإشبيلية فتعلم بها حتى اتصل بصاحب إشبيلية وحظى عنده ، وكان كثير الانهماك فى الملاذ متهماً بمذهب الفلاسفة فساءت المقالة فيه فخرج إلى المغرب ولقى جوهرا القائد فامتدحه ثم ارتحل إلى جعفر ويحيى ابنى على وكانا بالمسيلة فبالغا فى إكرامه ثم طلبه المعز الفاطمى فبالغ فى إكرامه فمدحه بأشعار يصل بعضها إلى الكفر ثم توجه المعز إلى مصر وتجهز بعده ابن هانىء ليلحق به لكنه قتل فى برقة سكران وكان ذلك يوم الأربعاء ٢٣ من رجب سنة ٣٦٢هـ وعمره ٣٦ سنة وقيل ٤٢ (انظر وفيات الأعيان جـ٤ ص ٤٩ ط ١) .

ثم ملك(١) الروم بصقلية وحسب أنهم أهلوها إليه فى بعض هداياهم(٢) وكأنى سمعت هذا .

وتوفى عبيد الله يوم الاثنين الرابع عشر من شهر ربيـــع الأول سنة ٣٢٢ وكسف القمر فى تلك الليلة كسوفاً كليا(٣) و « كان » عمره اثنتين وستين سنة أو ثلاثا وستين سنة ، وكانت وفاته من دواء سقاه اياه ابن الجزار يقال إنه حب السورنجان لنقرس(٤) كان يشكوه ، وكان إسحاق الأسرائيلى(٥) نهاه عنه

(١) أى عبيد الله المهدى .

(٢) المعروف أن صقلية آلت إليهم بعد أن سقط الأغالبة على أيديهم فى تونس فآلت إليهم بالتبعية .

(٣) يخشى أن يفهم من هذا أن هناك علاقة بين وفاة عبيد الله وكسوف القمر . وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته . . . . . » — وجدير بالذكر أن الكسوف يكون للشمس والخسوف للقمر لكن إذا جمع الشمس والقمر استخدم الخسوف .

(٤) النقرس مرض يصيب العظام يسمى بداء الملوك .

(٥) مصرى طبيب سكن القيروان وخدم عبيد الله الشيعى ، عاش مائة سنةونيفاً وله تواليف مبتكرة ككتابه فى البول وكتابه فى الحميات وكتابه فى الغذاء والدواءوكتابه فى الحدود وفى المنطق والترياق وأبوه سليمان وكان إسحاق فى خدمة الأغالبة قبل الفاطميين ، وكان معاصروه من يهود إفريقية يجلونه إجلالا عظيما حتى إنهم أسندوا إليه رياستهم الدينية . وقد ألف لهم كثيراً من الكتب فى تفسير تعاليمهم ، وسن لهم تقاليد شرعية ساروا عليها ، وكانت وفاته قبيل انتقال المعز إلى مصر ودفن بمقبرة اليهود بمدينة المهدية (أنظر طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ص ٨٧ ط المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة ١٩٥٥م وانظر ورقات فى الحضارة العربية جـ ١ ص ٢٣٧ ط ١٩٦٤) .

وأعلمه أنه يجد على أثره إفاقة ، ثم يشتد عليه ، وقد يهلكه فلم يقبل قوله لشدة ما يجده . فوجد تلك الإفاقة ، ثم مات .

وكتم أبو القاسم موته شهراً وقيل عاما كاملا حتى نفذ جيشاً لبرقة ليشغل المشرق وجيشا إلى تاهرت (١) ليشغل المغرب ، ثم أذاع موته وأظهر وفاته ، ووجد عليه وجدا شديداً وحزن حزناً ظاهراً ، وأمر بالبكاء عليه بالقيروان وغيرها من الأمصار ، ولم يركب دابة بالمهدية منذ مات إلى أن توفى هو حزناً وبراً وتكرمة لتربة دفن فيها .

وكان مما أحدث عبيد الله أن قطع صلاة التراويح فى شهر رمضان ، وأمر بصيام يومين قبله وقنت فى صلاة الجمعة قبل الركوع وجهر بالبسملة فى الصلاة المكتوبة وأسقط من أذان صلاة الصبح : « الصلاة خير من النوم » وزاد : « حى على خير العمل محمد وعلى خير البشر » ونص الأذان طول مدة بنى عبيد بعد التكبير والتشهدين « حى على الصلاة وحى على الفلاح » مرتين « حى على خير العمل محمد وعلى خير البشر » مرتين مرتين « لا إله إلا الله » مرة ، ثم يقول :

أحياك الله يامولانا حافظ نظام الدنيا والدين ، جامع شمل

(١) تاهرت مدينة بالوسط الجزائرى كانت عاصمة لدولة بنى رستم الخارجية ، وهى من المدن الكبرى بالجزائر الآن فى منطقة النجود الباردة وهما مدينتان متقابلتان القديمة والجديدة (انظر معجم البلدان ٢-٧) .

الإسلام والمسلمين ، وأعز بسلطانك جانب الموحدين ، وأباد بسيوفك كافة الملحدين ، وصلى عليك وعلى آبائك الطاهرين وأبنائك الأكرمين ، صلاة دائمة إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين (١) .

وفى أيام بنى عبيد فى سنة ١٧ بطل الحج وأخذ الحجر الأسود وذلك أن أبا طاهر سليمان بن الحسن القرمطى دخل مكة حرسها الله تعالى يوم التروية فقتل الحجاج قتلا ذريعاً ورمى القتلى فى زمزم وأخذ الحجر الأسود من الكعبة وقلع بابها وبقى الحجر عندهم اثنتين وعشرين سنة إلا شهراً ، ثم ردوه لخمس خلون من ذى القعدة سنة ٣٩ (٢) .

وفى أيام عبيد الله قتل المقتدر ببغداد فى الحرب التى كانت بينه وبين مؤنس الخادم وأظهر عبيد الله عند ما بلغه الخبر أن

(١) هذا نموذج من البدع التى ألصقها الفاطميون بالإسلام ، وليس لها سند من كتاب ولا سنة ، ولا من سلوك الصحابة والأسلاف رضى الله عنهم ، وهم الذين أمرنا بالاقتداء بهم . وما أكثر البدع التى خلفها الفاطميون فى العالم الإسلامى ولا سيما فى مصر والمغرب .

٢ — فى حج سنة ٣١٧ خرج أبو طاهر القرمطى على الناس يوم التروية فانتهب أموالهم واستباح قتالهم فى رحاب مكة وفى المسجد الحرام وجوف الكعبة وقتل منهم خلقا كثيراً ، فلما قضى القرمطى أمره وفعل ما فعل بالحجيج أمر بدفن القتلى ببئر زمزم وهدم قبة زمزم وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها ، ثم قلع الحجر الأسود وأخذه إلى بلاده فكث عند القرامطة اثنتين وعشرين سنة حتى ردوه سنة ٣٣٩ (انظر البداية والنهاية لابن كثير حوادث سنة ٣١٧) .

دعاته قتلته بأمره ، وجلس لذلك مجلساً هنيء فيه ويشبه أن يكون ذلك صحيحاً (١) والله سبحانه أعلم لأن الذى قتله كان بربرياً ، ولم يكن من أهل المشرق . وذكر الصولى أن الذى قتله رجل من أهل المغرب بربرى يقال له غلبون الصنهاجي رماه بحربة وهو على فرسه ، يصلح بين الجند — فى ظهره ، فخرجت من صدره فوقع ميتاً .

وكانت بالمهدية قبة مديدة بنيت ببنيانها ، وسقطت عند انقراض دولة بنى عبيد .

وخلف عبيد الله سبعة ذكور وهم : محمد أبو القاسم — وأحمد — وأبو على — وأبو طالب محمد — وقيـــل اسمه أبو عبيد الله الحسين — وأبو الحسين عقيل الأعمى — وأبو سلمان — وثمانى بنات — وكان قضاته : أبو جعفر المروزى ، وإسحاق بن المنهال ، ومحمد بن محفوظ القمودى ، ومحمد بن عمران النفطى — تداولوا القضاء ، ثم عاد القضاء إلى إسحاق ، وحاجبه جعفر بن على وحامل مظلته مسعود الفتى ثم غرس الفتى ومتولى بيت المـــال أبو على أحمد بن الحسين ثم ابنه أبو الحسن .

(١) فى سنة ٣٢٠ وقع بين المقتدر ومؤنس خلاف فاستولى مؤنس الخادم على الموصل وأقام بها تسعة أشهر ثم ركب منها إلى بغداد بدعوى مطالبة الخليفة بأرزاق الجند ، ثم وقعت بينه وبين مؤنس معركة ذبح فيها الخليفة المقتدر على يد الجنود المغاربة ، وكان فعل مؤنس هذا سببا لطمع حكام الأطراف فى الخلفاء ، وضعف أمر الخلافة جدا (انظر البداية والنهاية لابن كثير حوادث سنة ٣٢٠) .

محمـــد القـــائم

كنيته أبو القاسم بن عبد الله ولد بسلمة(١) من بلاد الشام سنة ٣٠٨ هـ ، وبويع يوم مات أبوه عبيد الله وعمره إذ ذاك اثنتان واربعون سنة ، وقام عليه أبو يزيد مخلد بن كيداد فى سنة ٣٣٢ وهو الذى كان أنذر به أبو عبيد الله على ما تقدم وهو من بنى جعفر من بنى جانا الذى تقول له البربر أجانا وأجانا هو بنفسه زنات الذى تنسب إليه زناتة(٢) وكان كيداد والد أبى يزيد من سكان تقيوس من بلاد قصطيلية(٣) وكان يختلف فى التجار إلى بلاد السودان فاشترى بتادمكت أمة تسمى سبيكة فحملت منه وولدت أبا يزيد وهو أعرج وفى لسانه شامة فذهب به أبوه كيداد

(١) سلمية : بليدة فى ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين ، قيل سلمية قرب المؤتفكة فيقال إنه لما نزل بأهل المؤتفكة ما نزل من العذاب رحم الله منهم مائة نفس فنجاهم فنزحوا إلى سلمية فعمروها وسكنوها فسميت سلم مائة (انظر معجم البلدان جـ٣ ص ٢٤٠ ط بيروت (وهى فى الأصل سلمة) .

(٢) زناتة : قال أبوالمجد المغيل وعلى بن أحمد بن سعيد بن حزم وغيرهما : إن زناتة هم أولاد أجانا بن يحيى بن صولات بن وزناج بن ضرى . (انظر البيان المغرب لابن عذارى جـ١ ص ٧٣ وانظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم فصل أنساب البربر) .

(٣) تضم بلاد الجريد قبلة تونس وهى : نفطة وتوزر وقفصة وبلاد نفزاوة وتسمى كلها بلاد قسطيلة مستبحرة العمران مستحكمة الحضارة مشتملة على النخل والأنهار (انظر تاريخ ابن خلدون ٦ القسم الأول ص ١٩٩) .

إلى عراف بمدينة كوكو فأراه فقال له ليكونن له شأن وليملكن ، ثم رجع كيداد إلى تقيوس فمات ، وقيل إن أبا يزيد نشأ بتوزر بدرب الغلامسسيين بقرب توزر(١) ، فلما كبر وشب قرأ مذهب الأباضية ففقه فيه ومهر فى الجدل عليه ، ثم سار إلى مدينـــة توزر فكان يعلم الصبيان القرآن ويدعو من وثق إليـــه وقدر عليه إلى القيام على أبى القاسم بن عبيد الله .

وينكرما هو عليه حتى استجاب له نحو ثلاثمائة رجل واتصل ذلك بابن فركان مقدم توزر فاستدعاه وتهدده فأنكر ما رمى به وتبرأ منه فخلى عنه ، وخاف أصحابه الذين أجابوه فتفرقوا عنه وهجروا مجلسه وتركوا الحضور فيه ومعه ، فخرج من بلاد قصطيلية كلها وسار إلى جبل أوراس(٢) وفيه قوم من هوارة (٣)

---

(١) توزر : مدينة فى أقصى إفريقية من نواحى الزاب الكبير ، وتقيوس قريبة منها .

(٢) جبل أوراس بأرض إفريقية فيه عدة بلاد وقبائل من البربر (انظر معجم البلدان حـ١ ص ٢٧٨ ط دار صادر —) وهذا الجبل يخترق الشرق الجزائرى وقريب منه تقع مدن كبرى كباتنه .وقسطينة ، وهو مهد لكثير من الثورات .

(٣) من بطون البرانس باتفاق النسابة العرب والبربر وهم ولد هوار بن أوريغ ابن برنس قيل سميت هوارة ؛ لأن المسور لما جال البلاد ووقع فى المغرب قال قد تهورنا وبطونهم كثيرة منهم بنو نبه وأوريغ ، ومواطنهم بنواحى طرابلس وما يليها من برقة كما ذكره المسعودى والبكرى وكانوا ظواعن وأهلين (انظر تاريخ ابن خلدون مجلد ٦ القسم الثانى ص ٢٨٥) .

يقال لهم بنوكملان(١) من أهل مذهبه فقام فيهم وقوى بهم واشتدت شوكته واستفحل أمره ، وعمره إذ ذاك ستون سنة وبه علل كثيرة ، وصحبه رجل يقال له أبو عمار بن عبد الله الحميدى الحجرى وكان مقدما فى الأباضية ، وكان يقول أبو يزيد لأهـــل القيروان إذا دخلها : لم لا تجاهلوا بنى عبيدها ها أنا رجل أعرج وصاحبى أبو عمار أعمى وقد عذره الله سبحانه ورفع عنه حرج القتال والجهاد فلم نعز أنفسنا ، وكانت له امرأة تسمى تاختريت على مذهبه ورأيه وبنون أربعة : يزيد الذى يكنى به ويونس وأيوب وفضل ، وكان يقدمهم على الجيوش ويخرجهم فى السرايا وأيوب هزم جيشاً كان أميره وقائده على بن حمدون صاحب المسيلة ، وكان لقيه بفحص على (وادى وجرة) ومع على بن حمدون أبو الفضل بن أبى سلاس قائدا أيضاً فاقتتلوا قتـــالا شديداً وانهزم على بن حمدون (فى) (٢) الطريق جهلا به منه فأوى إلى موضع وعر ليلا ومعه ابن أبى سلاس قائداً أيضاً ، فانحل وثاق فرس من خيولهم فوثب على فرس آخر فتضاربا وصهلا ، فوثب القوم بعد أن هجعوا وظنوا أن أيوب غشيهم فركبوا الخيـــل فى ظلام الليل وتبددوا

---

(١) بنو كملان : بطن من بطون هواره على مذهب الأباضية يوجدون بجبل أوراس ناصروا مخلد بن كيداد فى حربه مع إسماعيل المنصور (انظر ملوك بنى عبيد وسيرهم ص ١٩ طبعة الجزائر ١٣٤٦ هـ)

(٢) فى الأصل (وانهزم على بن حمدون الطريق) والمعنى يحتاج إلى زيادة (فى).

فى تلك الأوعار فسقط على بن حمدون من جوب عال فانكسرت يداه ورجلاه وظهره وأكثر عظامه.

وكان أبو يزيد فى أول أمره يلبس خشن الصوف ويمسك العصا ويسمى شيخ المسلمين ثم انتقل عن ذلك وركب عتاق الخيل ولبس الديباج ، وكان يرى الجمع بين الأختين بملك اليمين ويستبيح نساء المسلمين فيمن خالفه(١) ، ويسفك الدماء وكان أصحابه البربر يقتلون كل من ظفروا به من الناس كائنا من كان غبناً وعبثا خاصة من خرج من المهدية عند حصارهم إياها فراراً من الجوع والحصار ، ويشقون بطونهم أحياناً فتشاً على المال وتوهما أنهم(٢) ابتلعوه ، ويشقون بطون الحوامل ، واستولى أبو يزيد على إفريقية كلها إلا المهدية ، ودخل القيروان ووصل إلى مصلى العيدين فى أيام المنصور ثم انهزم كما ذكر عبيد الله ،

---

(١) تعتبر ثورة أبي يزيد تجسيداً لحقد قبيلة زناته على الفاطميين ، وأبو يزيد نشأ فى بلدة توزر ، وتعلم القرآن ، ومال إلى الخوارج ، واعتنق مذهبهم وعاش فى تاهرت يعلم الصبيان القرآن وينشر مذهب الخوارج ويعادي الشيعة ، وظهر أمره سنة ٣١٦هـ وقويت شوكته فى عهد القائم ، وأخذت له البيعة سنة ٣٣١ وكان يستبيح الغنائم من الفاطميين ، ودخل القيروان سنة ٣٣٢ ودعا إلى مجاهدة الشيعة ، (انظر الدكتور محمد جمال الدين سرور — الدولة الفاطمية فى مصر ص ٢٨ ط دار الفكر بمصر) ، (وانظر الدكتور عبد الله جمال الدين — الجيش فى الدولة الفاطمية رسالة ماجستير بدار العلوم ص ٤٣) .

(٢) فى الأصل (أنه) .

ولم يثبت له قدم ولا نصر له علم ، حتى هلك ، وذرى أية(١) سلك ، وكان قد سمى من بايعه وأقام به (العزابة) ومن بايعه وانصرف عنه عدة المسلمين ، وكان كثير الانتزاع لآى القرآن عند المناظرة والمحاورة مثل انتزاعه لما عوتب على لبس الحرير بعد الصوف وركوب الخيل بعد الحمير بقوله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » الآية(٢) وكان كثير التمثيل بآية الشعر كقوله ، وقد شكا إليه أهل إفريقية ما نالهم منه ومن جنده وأصحابه :

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه
فما فاته منها فليس بضائر

وفى شهر رمضان من سنة ٣٣٤ هـ ولى أبو القاسم إسماعيل ولى عهده ، وفوض إليه أمره وأدخل جماعة من وجوه كتامة ورؤسائهم إلى نفسه ، فقال هذا مولاكم وهو ولى عهدى والخليفة من بعدى وهو صاحب هذا الفاسق وقاتله يعنى أبا يزيد .

وتوفى أبو يزيد يوم الأحد الثالث عشر من شوال سنة ٣٣٤ وسترت أيضاً وفاته وأخفيت فكانت خلافته اثنتى عشرة سنة وسبعة أشهر وعمره خمس وخمسون سنة ، وخلف من الولد أبا الطاهر

---

(١) أى فى أى طريق سلك .

(٣) الأنفال ٦٠ .

إسماعيل ولى عهده ، وامه أم ولد تسمى كريمة ، وكان ترشح لولاية عهد أبيه ، حاجبه جعفر بن على(١) ، قضاته إسحاق بن المنهال إلى أن مات وأحمد بن يحى وأحمد بن الوليد ولته العامة فأقره ، صاحب بيت ماله أبو الحسن بن على الداعى .

(١) جعفر بن على بن أحمد بن حمدان الأندلسى صاحب المسيلة وأمير الزاب من أعمال إفريقية كان سمحا كثير العطاء ومؤثرا لأهل العلم . ولأبى القاسم محمد بن هانىء الأندلسى فيه من المدائح ما يجاوز حسنها حد الوصف . وهو القائل فيه :

المدنفـان من البرية كلها جسمى وطرف بابلى أحور
والمشرقات النيرات ثلاثـة الشمس والقمر المنير وجعفر

(انظر وفيات الأعيان جـ١ ص ٣١١ ط السعادة الأولى ١٩٤٨) .

المنصور

هو أبو العباس إسماعيل بن أبى القاسم ولد بالمهدية سنة ٢٩٩ وقيل سنة ٣٠٢ وولى وله اثنتان وثلاثون سنة ، ولم يكن فى بنى عبيد مثله ، وكان بطلا شجاعاً بليغا فصيحا ، يخترع الخطبة لوقته ، وخطب فى عيد الأضحى بالمهدية فقال فى خطبته : اللهم إنك قلدتنى أمر عبادك فى بلادك اللهم فأصلحنى لهم وأصلحهم لى وارزقنى حج بيتك الحرام ، ثم ذكر مناسك الحج فانصرف فأمر للناس بالطعام فأكلوا وانصرفوا ، ونفذت كتبه بسلامة العيد وكماله وتمام النعمة فيه ، وتلك سنتهم لم يزالوا عليها إلى أن انقرضوا ، وقد رأيت بعض كتبهم بذلك ، وكان فى هذا العيد قد أنهض من أهل القيروان ألف شيخ وألف حدث ، فلما وصلوا خيرهم فى التعييد معه أو الانصراف ، فعيَّد البعض وانصرف البعض وعيَّد عيد الفطر وهو مجاهد لأبى يزيد بقلعة كياتة ، وخطب فقال فى خطبته : اللهم إنك أخرجتنى من المهاد والوساد ، وجنبتنى الرقاد ، وحالفتنى السهاد ، وسلكت بى مفاوز البلاد ، اللهم احكم لى على مخلد بن كيداد ، « فرعون ذى الأوتاد ، الذين طغوا فى البلاد ، فأكثروا فيها الفساد» (١) ، اللهم أنزلهم بالمرصاد ، اللهم إنك تعلم أنى سلالة نبيك ، وابن رسولك ، وبضعة من لحمه ، ونقطة من دمه ، ما قلت فغراً ولا لدداً ، اللهم

(١) من سورة الفجر آيات رقم ١٠ وما بعدها .

إنك تعلم من أين أقبلت ، وإلى أين انتهيت ، وما فيك لاقيت ، اللهم إنى بذلت مهجتى ونفسى فى سبيلك ، مجاهداً لعدوك طالباً الثـأر لنبيك ، وابتغاء مرضاتك ، حتى تعبد فى الأرض حق عبادتك ، ويحكم فيها بحكمك ، إنك أهل المن والطول ، ثم انصرف إلى منازله وأمر للناس بالطعام .

وكان فى أيام حروبه مع أبى يزيد وقد انهزم عنه الناس ، وبقى معه صبابة فقال لهم صبرة : ياعبيد أمير المؤمنين فسمى ذلك الموضع صبرة ، وكان يعرف بصلب الجمل وهو فيما بين القبلة والغرب من القيروان .

وفى سنة ٣٣٤ بنى صبرة(١) وهى مدينة بناها بقربها سماها

(١) صبرة : بالفتح ثم السكون ثم راه : بلد قريب من مدينة القيروان وتسمى المنصورية من بناء مناد بن بلكين سميت بالمنصور بن يوسف بن زيرى بن مناد وقال الحسن بن رشيق القيروانى :

بنفسى من سكان صبرة واحد ... هو الناس والباقون بعد فضول
عـزيـز لـه نصفـان : ذا فى إزاره ... سمين وهــذا فى الوشاح نحيــل
مـدار كـؤوس اللحـظ منـه مكحـل ... ومقطف ورد الخــد منــه أسيل

انظر معجم البلدان جـ٣ ص ٣٩١ — ط دار صادر بيروت ١٩٥٥ .

ويقول ابن خلدون فى تاريخه : وكانت مدينة صبرة قبل الفتح فى مواطنهم وتعزى إليهم وهى كانت باكورة الفتح لأول الإسلام وخربها العرب بعد استيلائهم عليها فلم يبق منها إلا الأطلال ورسوم خافية .

(انظر تاريخ ابن خلدون المجلد السادس — القسم الأول — ص ٢٣٠) .

(وانظر مادة المنصورية) (فى معجم البلدان ص ٢١١ الجزء الخامس) .

باسمه المنصورية ، فاستمر عليها الأسمان إلى الآن وصبرة أشهر ، وكانت دار ملكهم وملك من بعدهم إلى أن أتى عليها الزمان ، ونال منها الحدثان ، وذهبت كما ذهب الأبدان وغمدان ، وبنى سورها بالطوابى وجعل لهـا أربعة أبواب : باب قبلى ، وباب شرقى سماه باب زويلة(١) ، وباب جوفى سماه باب كتامة وباب غربى سماه باب الفتوح ، ومنها كان يخرج للحروب ونصب عليها أبواباً ملبسة بالحديد ، ولم يبن فيها غير ذلك إلا بعد الفراغ من أمر أبى يزيد ، ثم بنيت فيها بعد ذلك القصور الشامخات والأبنية الرفيعة ، وغرست فيها الغرس البديعة ، وجلبت إليها الميــاه المنيعة ، ومن قصورها الإيوان(٢) بناه المعز لابنــه الذى يأتى ذكره ومجلس الكافور وحجرة التاج ومجلس الريحان وحجرة الفضة وقصر الخلافة والخورنق وقصور بين ذلك كثيرة ، ومصانع صنيعة كبـيـرة .

(١) نسبة إلى زويلة المهدية وهى مدينة بإفريقية بناها المهدى عبيد الله جد الذين كانوا بمصر إلى جانب المهدية بينهما رمية سهم فقط فسكن هو وعسكره بالمهدية وأسكن العامة فى زويلة وكانت دكاكينهم وأموالهم فى المهدية وبزويلة مساكنهم ، فكانوا يدخلون بالنهار للمعيشة ويخرجون بالليل إلى أهاليهم فقيل للمهدى ! إن رعيتك فى عناء من هذا ، فقال : لكن أنا فى راحة . لأنى بالليل أفرق بينهم وبين أموالهم وبالنهار أفرق بينهم وبين أهاليهم فآمن غائلتهم .

(انظر معجم البلدان جـ٣ ص ١٦٠ ط دار صادر بيروت) .

(٢) الإيوان : كلمة فارسية معربة بمعنى القصر .

ولما أتى أبو يزيد(١) إلى المصلى بالمهدية نزل بها وصلى فيها ، ثم انهزم ، ولم يزل إذ ذاك فى حروب أكثرها عليه لأن جل اتباعه قد خلوا به وخذلوه ، كما ذكر عبيد الله ، وعلى ما يأتى إن شاء الله . وكانت هزيمته فى أيام القائم أبى القاسم كما ذكر فى يوم الاثنين فى ثلاث خلون من جمادى الأخيرة(٢) سنة ٣٣٣ ه ، وتوفى أبو القاسم فى سنة ٣٣٤ كما تقدم ، وخرج إسماعيل المنصور بعد ذلك من المهدية إلى سوسة فلم يلقه بها أهل القيروان وسألهم عن تأخرهم وما منعهم من لقائه بسوسة فقيل له الخوف ، فتبسم وقال : إن أمير المؤمنين اختارنى لهذا الأمر وكلفنى(٣) بمحاربة هذا القوم ودفع إلى سيف جدى ذا الفقار وأومى إليه وهو إلى جنبه ، وأمرنى بالعفو عن الناس كافة وعن أهل القيروان إلا أصحاب الخصوص(٤) .

وتوجه من سوسة إلى القيروان فاستخلف بالقيروان مداما(٥) وأمره ألا يقطع دون القاضى محمد بن أبى المنظور .

(١) أبو يزيد : أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى – صاحب الحمار – الخارج على الشيعة سنة ٣٠٢ – سبق ذكره .

(٢) الصحيح لغويا جمادى الآخرة .

(٣) فى الأصل (ولهنى) ولا معنى لها .

(٤) أصحاب الخصوص : هم الذين وقع تخصيصهم وتعيينهم .

(٥) مدام : هو أحد أنفار اسماعيل المنصور حيث استخلفه على القيروان عندما ذهب يطارد أبا يزيد فى المسيلة وغيرها من المدن البعيدة . انظر كتاب : ملوك بنى عبيد وسيرهم – صفحة ٣٥ طبعة الجزائر سنة ١٣٤٦ .

وتوجه إلى المغرب لأربع بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٣٥ فنزل على ساقية ممس وأدركه هناك عسكر قدم عليه من برقة من آله ، فيه جماعة من وجوه كتامة ، وفيه بعض أهل المشرق فى ألف فارس ومعهم هدية نجب وبخت وخيل وغير ذلك .

ونادى منادى إسماعيل تلك الليلة أن لا يصحبه الزمنى(١) ولا الجبناء(٢) فانصرف جماعة منهم تلك الليلة من القيروان ودفع عن ساقية ممس (٣) وجعفر بن على الحاجب على طلائعه فنزل بوادى الرمل(٤) ورحل منه إلى بلاد سبيبة(٥) ففرق فيها الأرزاق ورحل منها إلى برناجة ومنها إلى ملاق(٦) ثم توجه إلى

(١) الزمنى : الطاعنون فى السن .

(٢) الجبناء : جمع جبان قال الزمخشرى فى أساس البلاغة : رجل جبان ورجال جبناء وفى حديث خالد : فلا نامت عين الجبناء –
انظر أساس البلاغة للزمخشرى صفحة ١٠٦ – طبعة دار الشعب بالقاهرة – ١٩٦٠ .

(٣) ساقية ممس : هى قديمة بالمغرب وقال البكرى عنها : هى قرية عامرة أهلها وبها مسجد وفندق .
انظر كتاب المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب صفحة ١٤٦ .

(٤) وادى الرمل : واد متسع عذب الماء لا ينقطع ماؤه يقع فى البلاد الليبية قرب تاجورة (أنظر رحلة التيجانى ص ٣١٠ ط ١ تونس ١٩٥٨) .

(٥) سبيبة : من أعمال إفريقية ينسب إليها أبو عبد الله السبيبى الخطيب بالمهدية انظر ج٣ معجم البلدان ص ١٨٦ .

(٦) ملاق : بالضم وتخفيف القاف اسم نهر (انظر معجم البلدان ج٥ ص ١٨٩) .

باغية(١) ، فلما قرب منها ركب نجيبا وتقدم إليها مع طلائع عسكره فخرج إليه أهلها فهنوه ودعوا له وكانوا قد أغلقوا أبواب مدينتهم فى وجه أبى يزيد عند انهزامهو مروره عليهم فشكرهم على ذلك وفرق فى ضعفائهم دراهم كثيرة وأنشده أبو يعلى المروزى(٢) :

لقـــد تاهت بطلعتـــك الغـــروب
كمـــا ابتهجت بدولتـــك القـــلوب
لقـــد زهت الخـــلافة إذ حـــذاها
نجيب راح يحمـــله النجيب

وسار إسماعيل فنزل بموضع يقـــال له أبو حميل ، ومنه إلى فحص طاقة ، ومنه إلى مدينـــة بلزمة(٣) ومنه إلى مدينـــة نقاوس وإلى طبنة (٤) فأقام بها أياما كثيرة وورد عليه كتاب

---

(١) باغية : مدينة كبيرة لها واد يجرى إليها من الجنوب وسكانها برابر قرب جبل أوراس (انظر نزهة الانظار جـ١ ص ٢٩) .

(٢) أبو يعلى المروزى : هو شاعر فى عهد أبى العباس اسماعيل المنصور وهو من أوساط الشعراء .

(انظر كتاب ملوك بنى عبيد وسيرتهم صفحة ٢٦ طبعة الجزائر ١٣٤٦).

(٣) بلزمة : حصن أولى وهو بساط من الأرض كثير المزارع والقرى وهى مدينة كثيرة الأنهار والثمار والمزارع (انظر كتاب المغرب فى ذكر وبلاد إفريقية والمغرب) .

(٤) بلدة فى طرف إفريقية مما يلى المغرب على ضفة الزاب فتحها موسى بن نصير وسورها مبنى بالطوب وبها قصر وأرباض وليس بين القيروان إلى سجلماسة مدينة أكبر منها (انظر معجم البلدان جـ٤ ص ٢١) .

جعفر بن على بن حمدون صاحب المسيلة والزاب(١) يخبر بمحبوس عنده ثار بجبـــل أوراس واجتمعت عليه قبائل كثيرة من زواوة وصنهاجة وعجيسة ، فأعطى بطبنة الأرزاق ووسع على الرجال وأسقط جماعة من الزمنى ومن لم يرض صحبته ، ورجع من طبنة فأتاه جعفر بن حمدون بهدية منها خمسة وعشرون فرسا ومثلها نجباء وأربعـــة من النجباء وفارة شريفة موجهة .

وأتاه بالثائر المذكور وكان غلاما أمردا(٢) ، جميلا مقيداً ، راكبا جملا وعلى رأسه طرطور مشهر ، وكان من أهل القيروان من أبناء الصاغة ، وكان ينظر كتب الصوفية ويقرؤها ومعه أربعة نفر مقيدين . وجـــدهم جعفر فى بعض الحصون المجاورة لأوراس بمن اتبع هذا الغلام ، وزعم أنه الإمام القائم بالحق فأمر إسماعيـــل بسلخه حياً وحشا جلده قطنا ، وجعله فى تابوت ، وكان يصلبه فى كل موضع يحل به(٣) وكذلك كان يفعل بأمثاله

---

(١) زاب الشىء إذا جرى وقال سلمه : ذاب يزوب إذا انسل هربا والزاب الكبير واد منه بسكره وتوزر وقسطيله وقفصه الزاب أيضا كورة عظيمة ونهر جرار بأرض المغرب عليه بلاد زاسعة بين تلمسان وسجلماسة وقد خرج من الزاب جماعة من أهل الفضل (انظر معجم البلدان جـ٣ ص ١٢٣) .

(٢) الصحيح أمرد من غير ألف لمنعها من الصرف للوصفية ووزن أفعل .

(٣) هذا نموذج لمعاملة الفاطميين لخصومهم وهى معاملة بعيدة كل البعد عن الإسلام نصاً وروحاً وهى تدل على عدم انتماء هؤلاء القوم للنسب النبوى الشريف .

ممن يبالغ فى الانتقام منه حتى سمى (السلاخ) وقطع أيدى أصحابه وأرجلهم وصلبهم وقال فى ذلك أبو يعلى المروزى :

ياخير من وهب العهود بعهده
وحكى لنا بالعهد سيرة جده
عجبا لمعتوه حدثته نفسه
بوساوس فيها شقاوة جده
عاداك وانسلخ الشقى من الهدى
حتى أمرت بسلخه من جلده

وسار إسماعيل فنزل بسكرة ودخلها وانتقمها مراراً ، وقتل قوماً من أهلها وفرق فيها الأرزاق ورحل منها إلى مقرة(١) وحشد أبو يزيد من بنى زروال قبائل جبل سالات(٢) عدداً كثيرا وجندا كبيرا ، وجاءت لاسماعيل القبائل من كل جهة ، واستنفرهم من كل وجهة ، واستمالهم بالطعام والكسى ، ووسع على كل

(١) مقرة : مدينة بالمغرب فى بر البربر قريبة من قلعة بنى حماد بينها وبين طبنه ثمانيه فراسخ وكان بها مسلحة للسلطان ضابطة للطريق ، ينسب إليها عبد الله ابن محمد بن الحسن المقرى .

(انظر معجم البلدان ج : ٥ – صفحة ١٧٥ طبعة دار صادر بيروت ١٩٥٧) .

(٢) يقرأ جبل وسلات بين تونس والقيروان على بعد ١٥ ميلا للقيروان (انظر نزهة الأنظار ج١ ص ٣٨) .

من جاءه وأحسن إلى كل من اطاعه ، وكاتب زيرى بن مناد(١) وماكسن بن سعد(٢) وبعث إليهما أموالا جمة ، وثيابا جملة ، ومن الذهب والعين ، واللجين ، ومن التحف والطرف ، ماأستمال به النفوس ، واستلان به القلوب ، فأجاباه وحشدا الجم الغفير من صنهاجة وعجيسة(٣) ووصلا إليه بكل ما قدرا عليه :

ونزل إسماعيل المسيلة فأقام بها أياما ، تعدل أعواما(٤) ، بما فرق فيها من الأموال وسدد من الأحوال ، وجند من الجنود ، وعبأ من العساكر ، وجهز من الجيوش ، وكتب إلى هوارة الذين كانوا بالغدير يأمرهم بأخذ أبى عمار الأعمى(٥) وأصحابه ، وكانت

(١) زيرى بن مناد : من أعظم ملوك البربر زعيم صنهاجة الشمال وبينه ومغراوة من زناتة حروب وفتن (انظر تاريخ ابن خلدون ٦–٣١٢ ط دار الكتاب اللبنانى ١٩٥٩) .

(٢) ماكسن بن سعد : هو قائد من قواد أبى العباس اسماعيل المنصور أيام حربه مع يزيد وأتباعه . انظر ملوك بنى عبيد وسيرهم صفحة ٢٧ – طبعة الجزائر ١٣٤٦ .

(٣) عجيسة : إحدى أجذام البرانس والبرانس أحد فرعى البربر .

(٤) كناية عما قام به من أعمال كثيرة فى مدة قليلة .

(٥) أبو عمار الأعمى : ابن عبد الله الحميدى من مقدمى الأباضية مات فى حرب دامت رحاها وكانت شديدة بين المنصور العبيدى وأبى يزيد وكان مناصرا ليزيد ابن كيداد – حيث حاصرهم المنصور فى جبل كياته فقتل هناك .

(أنظر تاريخ الجزائرفى القديم والحديث – للهلالى – الجزء : ٢ صفحة ٨٩) .

وفى رواية : ضرب عنقه اسماعيل المنصور بعد فتحه قلعة كيانة ليلة الأحد فى شهر المحرم سنة ٨٣٦ هـ .

قبل ذلك على أبى يزيد هزيمة عظيمة بموضع يعرف بعين السودان
بين جبل كياتة ، فانهزم أبو يزيد وتبدد أصحابه فأخذ يزيد نحو
صحراء مدينة بنى خزر وأخذ أبو عمار الأعمى وأبو مدكول الأعمى
صاحب آخر له نحو الغدير ، ووجه محمد بن خزر ابنه يعقوب
إلى إسماعيل وهو بالمسيلة فأكرمه وحمله على فرس من مراكبه
بسرج من سروجه ولجام من لجومه ووصله بعشرة آلاف دينار ،
وتوجه إسماعيل من المسيلة فى طلب أبى يزيد وقد بلغه أنه بجبل
سالات ، وهو جبل وعر شامخ دونه قفر ومفاوز ورمال
ودكادك لم يدخلها جيش قط ، فمشى أحد عشر يوما فى تلك
القفار والأوعار ثم نزل بسفح الجبل المذكور وأتاه أهل الجبل
مهطعين طائعين فسألهم عن أبى يزيد فلم يجد عندهم خبراً عنه فأمرهم
إن مربهم راجعا أن يأخذوه ووعدهم على ذلك بأموال ووصلهم
فى الحال ، وكر راجعاً يريد بلاد صنهاجة(١) فبات ليلته تلك هو
وأصحابه ودوابهم بغير علف ، وليسوا على ماء ولا معهم ماء
وبلغت الجرة تلك الليلة ثلاثة دراهم وشربة ماء كذلك ، ومات
كثير من أصحابه جوعاً وعطشاً ، وتراءت لهم نار فى سفح الجبل ،

(١) صنهاجة : هى أوفر القبائل البربرية عدداً ولا يكاد قطر من أقطار المغرب
يخلو من بطن من بطونهم فى جبل أو بسيط حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث
من أمم البربر وكان لهم فى الردة ذكر وفى الخروج على الأمراء بإفريقية شأن
وهم فرعان . صنهاجة الجنوب وصنهاجة الشمال وقامت باسمهم دول كثيرة فى المغرب
(انظر تاريخ ابن خلدون المجلد السادس ص ٣٠٩) .

فوجه من يتعرف خبرها ، فإذا هى نار أبى يزيد وأصحابه فعزم
أن يصبحهم ، فلما كان الغد افترق عنه أصحابه واختلفت عليه(١)
كلمتهم ، فقال له جمهورهم : يا مولانا أعظم الفتح وأجل الغنيمة
التخلص مما نحن فيه ، فرحل يريد صنهاجة وأصابهم مطر عظيم
من ثلج كبير فمنعهم ذلك من ضرب الأخبية ، ونصب الأبنية ،
واشتعال النيران .

ونزل إسماعيل فى طرف صنهاجة فى خباء لطارق الفتى ،
ثم توجه إلى حائط حمزة هناك ، وفرق الأرزاق وأجزل العطايا
ووصل إليه زيرى بن مناد فى عساكر صنهاجة فوصله وفضله ،
وخلع عليه ثياباً كثيرة من لباسه وأعطاه من الطيب والطرائف
الملوكية ما لا يحيط به الوصف ولا يعمه الحصر ، وحمله وحمله
وحمل أولاه وإخوته وبنى عمه ووجوه أصحابه على الخيل العتاق
بالسروج والجم المحلاة بالذهب والفضة ، وأفاض عليهم وعلى
كافة صنهاجة الواصلين معه الأموال إفاضة استسلم بها قلوبهم
واستخلص أعيونهم ، فصفت نياتهم ، وخلصت طوياتهم ،
وحسنت فيه معتقداتهم ، ورحل من حائط حمزة فنزل على وادى
لعلع(٢) فى شعار كذلك ، فرض به نحو شهرين وعميت عليه

(١) فى الأصل (عليهم) .

(٢) وادى لعلع : هو واد يوجد فى أحد جهات جبل سالات الذى يقع جنوب
المسيلة (انظر تاريخ الجزائر فى القديم والحديث الجزء ٢ صفحة ٦٩) .

أخبار أبي يزيد وعزم على المسير إلى تاهرت فتوجه إليها ، وبلغ
أبا يزيد ذلك فخالفه إلى المسيلة فحصرها واتصل الخبر إلى إسماعيل
وكر راجعا فأغذ السير ، وطوى المراحل ، ووصل إلى الإدلاج
والتأويب بالإنشاد فلما قرب من أبي يزيد ارتفع إلى جبل عقار(١)
وكياتة ، ودخل إسماعيل المسيلة فأقام بها ووجه مسرورا إلى
سطيف(٢) لا ستنفار كتامة ووجه خفيفا الفتى إلى ميلة(٣) لمثـل
ذلك ، وقتل هبتون بن محمد الكاتب ، وكان خرج مع شفاء
الفتى فبغى عليه ، وجاءه رسول الخير بن محمد بن خزر الزناتي
في نحو مائة فارس يقال إنه أقام عودته بمدينة الأغواط(٤) وغيرها
من عمله وسأله أن يبعث إليه بالخطبة والسكة ليضربها على اسمه ،
فأكرم رسله ووصلهم وجاوبه وبعث إليه بما طلب وأمر أن يأمر
رفاق زناتة بالاختلاف إلى المسيلة والقيروان بالأطعمة والمرافق ،

(١) جبل عقار : هو جبل في جهة من جهات المسيلة — طارد فيه اسماعيل المنصور أبا يزيد (انظر ملوك بني عبيد وسيرهم صفحة ٣٠ — طبعة الجزائر ١٣٤٦) .

(٢) سطيف : مدينة في جبال كتامة بين تاهرت والقيروان من أرض بربر ببلاد المغرب وهي صغيرة إلا أنها ذات مزارع وعشب عظيم (انظر معجم البلدان ج٣ ص ٢٢٠) .

(٣) ميلة : مدينة صغيرة بأقصى أفريقيه بينها وبين بجاية ثلاثة أيام ليس لها غير المزروع وهي قليلة الماء بينها وبين قسطنطينة يوم واحد .
(انظر معجم البلدان ج : ٥ صفحة ٢٤٤ طبعة دار صادر بيروت ١٩٥٧ .

(٤) الأغواط : مدينة جزائرية أول الصحراء بين جبل عمور والجنوب الجزائري .

وكتب إلى مدام الفتى يأمره بحفظ من وصل إليـه من زناتة
ولا يمنعهم من شراء السلاح ولا يكلفهم قبالة ولا مغرما ، وصار
أبو يزيد محصوراً في جبل كياته غير أن الطعام كان عنده رخيصاً ،
كانت الرفاق تأتيه به من سدراته ، وبطيوس ، وهي من بلاد بسكرة ،
فكتب إسماعيل إلى زناتة يأمرهم بالإغارة على سدراتة والاستئصال
لهم ففعلوا ذلك وقتلوهم وسبوا حريمهم وانتهبوا أموالهم . فتوقف
الناس عن المسير إلى أبي يزيد بالأطعمة وكانت بين أبي يزيد وإسماعيل
وقعة بفحص باتنة ، وباتنة اسمها القديم باذنه مدينة عظيمة خربت
بينها وبين المسيلة أثنا عشر ميلا ، قتل فيها من أصحاب أبي يزيد
نحو عشرة آلاف بين راجل وراكب أكثرهم من بني كملان
وزناته ويعرف يوم هذه الوقعة بيوم الرؤوس ، وانهزم أبو يزيد
وعقر فرسه وسقط إلى الأرض فقرب له أصحابه فرسا آخر فركبه
فعقره تحته أيضاً زيرى بن مناد ، وسقط إلى الأرض فترجـل
إليه يونس ابنه وابن اخت له وجماعة من قرابته وأصحابه وجرح
بين كتفيه وبين وركيه واستنقذه سائر أصحابه عن جهد (جهيد)
وبعد قتال شديد ، وكتب إسماعيل إلى (مدام) بذلك كتابا فقرأ
كتابه بالقيروان ، وذكر في كتابه أن رسول محمد بن علي بن الجراح
وفضل بن العباس وصل إليه بكتابيهما وأنهما قاما بدعوته بالعراق .
ولحق أبو يزيد بكياتة (١) ورحل إسماعيل من المسيلة غرة

(١) كياتة : هي جبل يوجد في جهات المسيلة .
(انظر تاريخ الجزائر في القديم والحديث الجزء الثاني صفحة ٨٩ — الطبعة الأولى) .

شهر رمضان يوم الجمعة سنة ٣٣٥ ، افنزل بموضع يعرف بالناظور (١) وهو موضع معروف بأروسن من جنات القلعة محاصراً لأبي يزيد ، ثم صعد يوم السبت الثانى من رمضان إلى جبل كياتة وصعد فى وعربين صخور ومشى فيها راجلا فى أماكن كثيرة ، فكانت بينه وبين أبي يزيد وقعة عظيمة تعرف بوقعـة الحريق ، وأحرق فيها إسماعيـل أخصاصا كثيرة لأصحاب أبى يزيد ، وقتل منهم عدداً كثيراً ثم انهزموا فى آخر النهار وسبى إسماعيل نساءهم وذراريهم ، وأخذ لهم من الخيل والجمال وصنوف الحيوان ما يفوت الإحصاء ، ويستغرق الاستقصاء وارتفع أبويزيد ودخل قلعة كياتة(٢) وهى تاقربوست المطلة على قلعة حماد(٣) ،

= وقال البكرى : هى قلعة كبيرة ذات منعة وحصانة تمصرت عند خراب القيروان انتقل إليها أكثر أهل افريقية وهى اليوم مقصد التجار وتحل بها الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب ، وهى اليوم مستقر مملكة صنهاجة . وبهذه القلعة كان تحصن أبو يزيد مخلد بن كيداد من اسماعيل المنصور . (ويسميها البكرى قلعة أبي الطويل) انظر المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب للبكرى .

(١) الناظور : هو موضع معروف بأروسن من جنات القلعة حاصر فيه اسماعيل المنصور أبا يزيد سنة ٣٣٥هـ . (انظر ملوك بنى عبيد وسيرهم صفحة ٣١ طبعة الجزائر ١٣٤٦) .

(٢) قلعة كياتة : أوتاقربوست : وهو اسم بربرى للقلعة .

(٣) قلعة حماد : مدينة متوسطة بين أكم وأقران لها قلعة عظيمة على قلة جبل . تشبه فى التحصن ما يحكى عن قلعة أنطاكية وهى قاعدة ملك بنى حماد بن يوسف الملقب =

ورجع إسماعيل على الناظور وبعث قيصر الفتى وزيرى بن مناد الصنهاجى فى جمع كثير إلى أهل غديروان وهى المتقدمة ذكرها وهى على نحو الخمسة عشر ميلا من القلعة من الجهة الشرقية وكان بناها وسورها لبنى حماد مملوك لهم رومى يقال له بونياس(١) ، فقتلهم وسبى ذراريهم وأحرق ديارهم ، وأظنه نقم عليهم أبا عمار الأعمى وأصحابه ، ثم سار قيصر إلى قلعة المرى وهى قلعة كياتة بجبل القلعة وجبل القلعة معروف ، وهذا الأسم له كالعلم الموقوف ، وسمتها البربر المرى وإنما هو المرآة كانت منصوبة عليها فى الزمان الاول ، فنزل اليه أهلها بأمان ، ثم توجه الى أوسجيت وهى بسفح جبل القلعة وهى من جهة الشمال مما يلى بلاد عجيسة ، فهربوا منه وصاروا مع أبي يزيد ، ثم توجه إلى بنى عوسجة وهى من عجيسة فقاتلهم فى وعر شـديد وجبال متمنعة حتى تغلب عليهم وتمكن منهم ، وحارب قلعة تناكر وتقول البربر للموضع الآن شـيكر ، فاستأمنوا إليه ، ثم نهض إلى كياتة فكان قيصر هذا يقاتلها من جهة غربها وإسماعيل يقاتلها من جهة شرقها. وجاء الفطر(٢) فصلى إسماعيل وخطب على ما تقدم وتمادى على حصار أبي يزيد وحفر خندقا حول

= بيلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى البربرى وهو أول من أحدثها فى سنة ٣٧٠ وهى قرب أشير من أرض المغرب الأدنى . انظر معجم البلدان الجزء ٤ صفحة ٣٩٠ طبعة دار صادر بيروت ١٩٥٧ .

(١) بونياش : مملوك رومى كان لبنى حماد . وهو بناء بارع بنى غديروان .

(٢) أى عيد الفطر .

معسكره بأسفل جبل كياتة ، وهو الذى يسمى الآن خندق الديباج ، لأخبية ديباج . كان إسماعيل ظهر بها فى ذلك المكان ، وبنى تنورا كبيرا ، وأضرمه ناراً وعلق عليه بكرة فإذا أخذ أحداً من البربر علقه برجليه إلى البكرة ، ثم مالاه (١) فى التنور إلى موضع يناله حر النار فيه ، فإذا أشرف على الموت روح شيئاً ، فإذا رجعت إليه نفسه أعاده حتى يموت (٢) ، وعمل قفصا من خشب وأدخل فيه قردين ذكراً وأنثى ، وقال لأصحابه لابد من مخلد بن كيداد من دخول هذا القفص ومقارنته فيه مع هذين القردين ، ونصبه قبالة أبى يزيد ، فقال محمد بن المنيب فى ذلك :

حل البلاء بمخلد ... وجميع شيعته النواكر
أمسى بأرض كياتة ... قد بان منته كل ناظر
يرنو بطرف خاشع ... نظر المحاصر للمحاصر
يرنو إلى عدد الحصى ... والرمل من تلك العساكر
يامخلد ابن سبيكة ... ياشربيت فى العشائر
ذق ما جنته يداك قبل ... من الكبائر والصغائر
ذق هول شقك للبطون ... وما ارتكبت من الجرائر
ياشر من بكياتة ... وكياتة شر البرابر
أنظر إلى القفص الذى ... لابد فيه أنت صائر

(٢) أماله فجعل رأسه إلى أسفل .
(١) وهذا نموذج آخر من نماذج معاملة الفاطميين لإخوانهم المسلمين .

وانظر إلى أيديك فيه ... ومؤنسيك ومن تجاور
قد طال شوقهما إليك ... فزرهما ياشرزائر

وكتب إسماعيل إلى أبى يعقوب بن خليل فأتاه بخمسة وعشرين مركبا ووصل بها إلى موسى الدجاج وتمادى على حصار أبى يزيد ومحاربته .

وكان يقول دار ملكى منزلتى ومحاربتى أين ماكنت من البلاد — حتى يقطع الخابى الفساد — وزحف إلى قلعة كياتة يوم الأحد (من المحرم) سنة ٣٣٦ (١) وصعدت العساكر بين يديه من الزريليين وغيرهم فأحاطت بأبى يزيد وأصحابه وكانت بينهم حروب كبيرة عظيمة من أول النهار إلى آخره فلما كان الليل أشعل إسماعيل النيران وتمادى على الحرب ، فخرج أبو يزيد ومن معه فحملوا حملة رجل واحد ، فقتل أكثرهم وتخلص أبو يزيد بجرحين على جبهته وترقوته إلى أسفل الجبل ، وأحاط إسماعيل بالقلعة وتغلب عليها ودخلها وألفى بها عمار الأعمى وجماعة من وجوه النكار ، فضرب أعناقهم تلك الليلة ، ولما أصبح يوم الأحد أمر بطلب أبى يزيد فلم يوجد واغتم بذلك ، وأمر بطلبه فأصابه قوم من الزويليين فى بعض شعاب الجبل المسمى به الذى تقدم ذكره ، فأرادوا قتله فلم يعرفوه فعرفهم بنفسه ، فأعطاهم مالا كثيراً كان معه وخاتمه وثيابه ، فتركوه

(١) سنة ٣٣٦ هـ : يقابل ذلك بالتاريخ المسيحى ٩٤٧م .

ووجده آخرون فأتوا بأبي يزيد إلى إسماعيل فأعطاهم ألف دينار وأعطى جماعة آخرين ادعوا أخذه عشرين مثقالا ، فقال لأبي يزيد ما حملك على ما فعلت؟ فقال أردت أمراً فأباه الله ، فكساه وأمر بمداراته والإحسان إليه ؛ طمعا أن يصل به إلى القيروان فكان عند جعفر الحاجب إلى أن مات من جراحه يوم الخميس لليلة بقيت من محرم وقيل : إن الدم نزفه وهو يكلم إسماعيل فمات بين يديه ، فأمر إسماعيل بسلخه وحشو جلده قطنا وخيطت وصاله حتى تمت جثته ، وصار كأنه نائم وقدد لحمه وملح وأمر بحمل جميع ذلك(١) وبعث برؤس القتلى وبكتاب إلى مدام القتى فقرأ الكتاب على المنبر وطوفت الرؤس بالقيروان ، وقال بعض الشعراء(٢) فى سلخ أبي يزيد :

أما النفـــاق فقـــد نسخ ... وأبو الكبـــائر قـــد سلخ
كان الفـــويسق مخـــلد ... فـــرداً ولكن قـــد مسخ
لو قـــد رأيت محـــله ... وبنـــو الحـــداية تسطرخ
لرأيت ما عقـــد اللعـــين ... بلطف ربـــك قـــد فسخ

(١) وهذه صورة أخرى تضاف إلى أسلوب معاملة الفاطميين لخصومهم ، وهو أسلوب يبرأ منه الإسلام ، وهو يوحى بالشك فى حقيقة هؤلاء الفاطميين وفى صلتهم ببيت النبوة ، وأين أسلوبهم هذا من أسلوب الرسول عليه الصلاة والسلام (اذهبوا فأنتم الطلقاء لوجه الله تعالى) وهذا مع الكافرين . . فكيف مع المسلمين ؟ !! بل ما علاقة أسلوبهم هذا من معاملة الإمام على رضى الله عنه لخصومه ؟ !!

(٢) المنافقين ، وما أكثرهم !!

وقال من قصيـــدة :

فسلختـــه مـــن جـــلده ... وحشوتـــه حشـــو المزاود
وضربتـــه مثـــلا يســـير ... فى الأقـــارب والأباعـــد
وردت بـــه أطمـــاعه ... وظنـــونه شر المـــوارد

ثم انصرف إسماعيل إلى المسيلة وتوجه منها إلى تاهرت يوم الثلاثاء لست بقين من صفر من هذه السنة ، فلما وصل إليها أمر بنبش عظام مصالة وفضل بن حبوس(١) وأحرقها بالنـــار واحرق منبر جامعها لكونه خطب عليه لعبد الرحمن بن محمد(٢) ، وأقام بها أياما وولى عليها وانصرف إلى القيروان بعد أن كتب كتاباً قرىء بالقيروان أن والده القائم بأمر الله كان توفى فى شوال سنة ٣٣٤ وأنه ستر ذلك من أجل الحرب ، ولئلا يسر بذلك الدجال اللعين مخلد ابن كيداد ، وأمر أن يسمى هو المنصور بأمر الله وأن يكتب ذلك فى الطرز ، ثم وصل إلى أفريقية ووصل كتابه إلى قرطاجنة(٣) يوم السبت لسبع بقين من جمادى الأخيرة يخبر بقدومه فقرىء على المنبر

(١) مصالة وفضل ابنا حبوس — من أتباع الفاطميين لكنهم اختلفوا معهم (انظر البيان المغرب حوادث سنة ٣٠٤ ، ٣٠٥) .

(٢) المراد عبد الرحمن الناصر (الثالث) أمير الأندلس بين ٣٠٠ ، ٣٥٠ هجرية .

(٣) قرطاجنة : بلد قديم من نواحى إفريقية ، وقد بنى المسلمون من رخامها لما خربت عدة مدن وهى على ساحل البحر بينها وبين تونس اثنا عشر ميلا .
(انظر معجم البلدان الجزء الرابع صفحة ٣٢٣ طبعة صادر بيروت ١٩٥٧م) .

وأخرجت إليه الطبول والبنود والنجائب ، فلما كان يوم الخميس لليلتين بقيتا من هذا الشهر خرج القاضى محمد بن أبى المنظور(١) فى جماعة من وجوه القيروان فتلقوه وسلموا عليه وهنوه بالفتح ، ووصل إلى قصره بصبرة وصلى صلاة الظهر من هذا اليوم ودخل من باب الفتوح(٢) وعليه ثوب ديباج سفر جلى مصمت ، فلما انتهى إلى مجلسه ونزل سجد لله عز وجل ، ولما كان يوم الجمعة يوم وصوله جلس فى مجلسه ودخل عليه القاضى فأدناه وقربه ، وأجلسه وأذن للناس كافة ، فدخلوا عليه أفواجاً ، وسلموا عليه وهنوه بالقدوم والفتح ، ونهض من مجلسه فحجب الناس . وصعد إلى قبة مشرفة ، فجلس فيها مع خاصته ، وأمر بأبى يزيد فأخرج من تابوت كان فيه وألبس قميصاً ، وقلنسوة بيضاء ، وأركب جملا وأردف خلفه من يمسكه وألصق إلى جنبه عودان وربط إليهما وجعل عليهما قردان قد علما ، فكانا يصفعانه ويعبثان بلحيته ، وأخرج من صبرة(٣) من الباب الشرقى فطوف بالقيروان وبصبرة ،

(١) أبو عبد الله محمد بن أبى منظور الأندلسى أقام بالقيروان عنده رواية وإدراك وكتب علما كثيراً .

(انظر قضاة قرطبة ص ٢٢٧ ط العطار سنة ١٣٧٢) .

(٢) باب الفتوح : هو أحد أبواب مدينة صبرة من الجهة الغربية . وكان المنصور إذا عزم على الحرب خرج منه . انظر ملوك بنى عبيد وسيرهم صفحة ٢٤ — طبعة الجزائر ١٣٤٦ .

(٣) صبرة : فى سنة ٣٣٦هـ أمر المنصور أبا طاهر ببناء صبرة واختطها وسماها المنصورية . انظر البيان المغرب ج : ١ — صفحة ٣١٢ . =

ثم صرف إلى التابوت ، وفى هذا اليوم قدم عليه صاحب القسطينيه مع السرد عوس فى نحو ثلاثمائة رجل وظفر بفضل بن أبى يزيد ، وقد حشد واحتفل فخرج إليه إسماعيل فهزمه ، وهد ركنه وهدمه ، ورجع ودخل صبرة وبنوه وإخوته يمشون بين يديه ، وقرب إليه ولد صغير فأخذه من الفتى وجعله فى السرج — قدامه حتى دخل عليه من باب وعليه ثوب فرفرى أبيض بصنائف عراض وعلى كميه مثل ذلك ، وهو متوشح بخز أحمر ، وبيده اليسرى رمح وهو يسلم على الناس باليمين ، وبعد ذلك توجه إلى المهدية(١) بأهله وإخوته وأطلق من الحبس عشرين رجلا من بقايا بنى الأغلب ووصل كلا منهم بعشرين مثقالا ونفاهم إلى مصر ، وفى يوم السبت لثلاث عشرة بقين من ذى القعدة سنة ٣٣٦ طيف بالقيروان برأس الفضل بن أبى يزيد(٢)

= وقال البكرى : بلد قريب من مدينة القيروان بناها اسماعيل بن أبى القاسم ابن عبيد الله سنة ٣٣٧ . واستوطنها . انظر معجم البلدان الجزء : ٣ صفحة ٣٩١ طبعة دار صادر ١٩٥٧ (وينظر هذا الوصف التفصيلى البشع بأبى يزيد كيداد) .

(١) المهدية : مدينة بإفريقية تقع على ساحل بحر الروم داخلة فيه ككف على زند عليها سور عال محكم كأعظم ما يكون . انظر معجم البلدان الجزء : ٥ صفحة ٢٣٠ طبعة دار صادر بيروت ١٩٥٧ , وقد سبق الإشارة إليها .

(٢) الفضل بن أبى يزيد : هو قائد ثائر ضد العبيديين فى جهة أوراس حيث ثار على المنصور العبيدى وحاصر مدينة باغية إلا أنه هزم من طرف زيرى بن مناد ومات غدرا من طرف باطيط بن يعلى الزناتى فى ذى القعدة سنة ٣٣٦هـ .

(انظر تاريخ الجزائر فى الحديث والقديم ج : ٢ صفحة ٩٠) .

بعث به باطيط بن يعلى الزناتى(١) مع ولده وكان قتله إياه غدراً بجوار باغية فأعطى ولد باطيط ألف مثقال ، ووصله وحمله ووصل أصحابه ، وبعث برأس فضل وجثة أبيه أبي يزيد إلى صقيلية مع حسين بن على بن أبي الحسين ، فعطب الموكب وذهب رأس فضل وطفت جثة أبي يزيد على المـاء ، فردت إلى المهدية وصلبت على مجرى الخابية(٢) .

وفى هذه السنة مات القاضى محمد بن أبي المنصور بن حسان الأندلسى الأنصارى .

وفيها انصرف إسماعيل من المهدية إلى صبرة فاستوطنها وسماها المنصورية ، واستقر إسماعيل بالقيروان فصلى بهم ركعة ، ثم كبر وقام إلى الثانية فكبر خمسا ثم صعد إلى المنبر فحول زداءه وحول وجهه إلى القبلة وكبر مائة تكبيرة ، ثم حول وجهه إلى اليمين فسبح مائة تسبيحة ، ثم حول وجهه إلى اليسار فهلل مائة تهليلة ، ثم استدبر

---

(١) باطيط بن يعلى الزناتى : هو قائد من قواد اسماعيل المنصور وهو الذى قتل الفضل بن يزيد غيلة وغدراً بجوار مدينة باغية وقد أغدق عليه المنصور أموالا طائلة جزاء له .

(انظر ملوك بنى عبيد وسيرهم صفحة ٣٨ طبعة الجزائر ١٣٤٦) .

(٢) مجرى الخابية : هى مكان بالمهدية صلبت فيه جثة أبي يزيد الذى تقرر فى أول الأمر إرسالها إلى صقلية مع حسين بن على بن أبي الحسين لكن وقع عطب فى المركب فطفت جثته فوق الماء وردت إلى المهدية فصلبت بهذا المكان الذى يدعى بمجرى الخابية . (انظر ملوك بنى عبيد وسيرهم صفحة ٣٨ طبعة الجزائر ١٤٣٦) .

القبلة ، فخطب خطبتين فجلس بينهما ودعا وانصرف . وذكر أنها صلاة أهل البيت عليهم السلام(١) .

وفى سنة ٣٣٣ . زحف يزيد بن أبي يزيد إلى باغية محاربا لهـا وانهزم عنها .

وفيها قتـل أيوب بن أبي يزيد بعد انصرافه من الأندلس وكان وفد على عبد الرحمان (٢) ابن محمد فقتله عبد الله بن بكار(٣) غيـلة .

وفيها استأ من بنو كملان باسماعيل فأمنهم على سكنى عيالهم بالقيروان .

وفى سنة ٣٤٠ توفى أبو كنانة بن أبي القاسم بن عبد الله .

وفيها طهر إسماعيل أولاده وطهر معهم ألف صبي من أهل القيروان من أبنائهم وكساهم وأعطاهم ما ينفقون وأمر كتامة أن يطهروا أولادهم .

وتوفى إسماعيل يوم الجمعة سلخ شوال سنة احدى وأربعين وثلاثمائة أو سنة تسع وثلاثين وكانت ولايته سبع سنين وسبعة عشر

---

(١) هذه الصلاة بدعة لا أصل لها وليس هناك صلاة خاصة بأهل البيت !!!

(٢) عبد الرحمن بن محمد الناصر الخليفة الأموى الأندلسى .

(٣) هو عبد الله بن بكار اليفرنى اغتال أيوب بجبل أوراس عندما وفد أيوب هذا على الخليفة الناصر ، وعبد الله هذا قائد مناصر لإسماعيل المنصور (انظر تاريخ الجزائر فى القديم والحديث جـ٢ ص ٩٠ ط قسنطينه) .

يوما مرض باسهال من فرحة كبده وخلف خمسة ذكور ، وحاجبه جعفر بن على وقضاته أحمد بن الوليـــد ثم محمد بن أبى المنظور ثم عبد الله بن هاشم(١) .

(١) أحمد بن الوليد هو أحد قضاة إسماعيل بن عبيد الله حيث ولته العامة فأقره وعبد الله بن هاشم أحد قضاته أيضا (انظر حولها أخبار ملوك بنى عبيد وسيرهم ص ٢١ وص ٣٩ ط الجزائر ١٣٤٦ وفى تحقيقنا) .

المعـــز

هو معد بن تميم ولد بالمهدية يوم الاثنين فى رمضان سنة ٣١٩ وولى وله اثنتان وعشرون سنة ، وكان هوارة هم الذين قاموا بأبى يزيد ولم يزالوا قائلين لأبى عبيد مقيمين على حربهم والخلاف فخرج المعز فى جيش عظيم إلى جبل أوراس فلما سمعوا بخروجه جمعوا له بسفح غزالة على مقربة من مدينة باغية فلما وصل الأوراس جهز بلكين بن زيرى بن مناد(١) ووجهه إليهم ، ورجع هو إلى القيروان فهزمهم بلكين ، وفرق جموعهم وشتتهم فتمزقوا أيادى (سبـــا) وتبددوا فى بلاد الزاب(٢) وغيرها ومنهم من وصـــل إلى بلاد السودان(٣) فأقام بها فما التقى رائح منهم بمبتكر ، وتوفى كافور

(١) بلكين بن زيرى بن مناد : أبو الفتوح يوسف بلكين بن زيرى توفى فى ٢١ من ذى الحجة سنة ٣٧٣ كان فى أول الأمر من عمال الفاطميين .

انظر معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى صفحة ١٠٩ الجزء : ١ طبعة القاهرة ١٩٥١ —

وقال ابن خلدون : هو قائد من قواد المعز استخلفه على إفريقية والمغرب وأنزله بالقيروان وسماه يوسف وكناه أبا الفتوح .

انظر تاريخ ابن خلدون ج : ٤ صفحة ١٠٣ طبعة دار صادر .

(٢) بلاد الزاب : كورة عظيمة ونهر جرار بأرض المغرب على البر الأعظم عليه بلاد واسعة وقرى متواطئة بين تلمسان وسجلماسة والنهر متسلط عليها .

(انظر معجم البلدان ج : ٣ صفحة ١٢٤ طبعة دار صادر بيروت ١٩٥٧) .

(٣) بلاد السودان : بالمغرب الأقصى .

(انظر تاريخ ابن خلدون ج : ٤ صفحة ٢٤٥ طبعة دار صادر ١٩٥٧) .

الإخشيدى بمصر سنة ٣٥٦ ، وقدم المعز القائد أبا الحسن جوهرا الكاتب مولى أبيه إسماعيل المنصور إلى مصر ، وجوهر هذا رومى جلبه خادم يعرف بصابر ، ثم انتقل إلى خادم يعرف بجزان ثم انتقل إلى الخادم خفيف ، فوهبه إلى المنصور ، فتوجه إلى مصر فافتتحها (١) وكان فتحه لها يوم الثلاء لسبع عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ٣٥٨ وهرب أعيان الإخشيدية من مصر إلى الشام قبل وصول جوهر وأقيمت الدعوة للمعز فى يوم الجمعة لعشرين من شعبان بالجامع العتيق ، ودعا له أبو مسلم العلوى بالمدينة ، وسار جعفر بن فلاح إلى الشام فقبض على الحسين بن عبيدالله(٢) ، وأنفذه إلى جوهر ثم أنفذه جوهر مع جماعة من الإخشيدية بقوامصر إلى المعز مع ولده جعفر ومعه هدية فى سنة ٣٥٩ ، وفى يوم الجمعة الثانى من جمادى الأولى سنة ٣٥٩ راح القائد جوهر إلى جامع ابن طولون ، وأذن المؤذنون وخطب عبد السميع العباسى وقنت

(١) سارت حملة جوهر نحو مصر فى اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الثانى سنة ٣٥٨هـ (انظر معجم البلدان ١-٣٤٨) وذلك فى جيش يربو على مائة ألف ، وقد وصفه أحد المصريين بقوله : مثل جمع عرفات كثرة وعدة (انظر اتعاظ الحنفا للمقريزى ص ٧١) .

(٢) ورد فى ابن كثير (البداية والنهاية ١١-٢٦٧) أنه الحسن بن عبد الله بن طغج أبو محمد — وكان بالرملة من الشام فقاتله جعفر بن فلاح قائد الفاطميين الذى أرسله جوهر الصقلى إلى الشام لإخضاعها للفاطميين — أما قائد دمشق فكان الشريف أبا القاسم بن يعلى الهاشمى ، وقد هزمه جعفر أيضاً وحمله إلى جوهر بمصر ، فحمله جوهر وابن طفيح إلى المعز الفاطمى بالمغرب .

عبد السميع قبل الركوع ، وسجد ونسى الركوع ، فصاح على ابن الوليد قاضى عسكر جوهر بطلت الصلاة أعد ظهرا أربعا ، ثم أذن بحى على خير العمل ، بالجامع العتيق لأربع بقين من جمادى الأولى ، وجهر فى الصلاة بالبسملة وكتب جوهر إلى أهل الريف والصعيد :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد أمير المؤمنين(!!) جوهر لجماعة أهل الريف والصعيد هذا أمان لكم على أنفسكم وأموالكم وأولادكم من أمير المؤمنين المعز لدين الله لتقرؤه وتقفوا على ما فيه من جميل رأى أمير المؤمنين لكم ، وحسن نظره إليكم ، وتحمدوا(١) الله تعالى على أموالكم وتشكروه وتسارعوا إلى الطاعة العاصمة لكم ، العائدة بالسعادة المفضية (٢) إلى السلامة بكم ، ولم يرد بإخراج هذه العساكر المنصورة ، والجيوش المظفورة الإمامية إلا إعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم ؛ إذ تخطفتكم الأيدى واستمال عليكم من طمعت نفسه الاقتدار عليكم ، فشمل المسلمين الذل ، واتصل عندهم الخوف ، وكثرت استغاثتهم ، وعلا صراخهم ، وأبكى عينه ما نالهم ، وأسهرها ما حل بهم ، ومولانا أمير المؤمنين يرجو من الله سبحانه وتعالى بفضله عليه ، وإحسانه الجميل إليه ، وما عوده وأجراه عليه ، استنقاذهم من الذل المقيم ، والعذاب الأليم ، وأن يؤمن

(١) فى الأصل وتحمدون .

(٢) فى النسخة المطبوعة (العظيمة) .

من استولى عليه الوهل(١) ، ويفرج فزع (٢) من لم يزل فى خوف ووجل ، وإجراء إقامة الحج الذى تعطل ، وإهمال العباد فروضه وحقوقه ، للخوف المستولى عليهم ، إذ لا يأمنون على أنفسهم ولا على أموالهم واعتماده لإصلاح الطرقات ونفى الفساد منها ، وقطع عبث العابثين فيها ، لينصرف الناس آمنين ، وينبسطوا(٣) مطمئنين ، وليتخلفوا إلى مدينة مصر بالأطعمة والأقوات ، إذ كان قد انتهى إليه إفساد القرامطة (٤) لعنهم الله فى الأرض وبغيهم بغير الحق ، ولم يقم للمسلمين ناصر ، ولا أعانهم قاهر ، على من أذلهم وإذ لا زاجر للمتعدين ، ولا قامع للظالمين ، وقد أمر بتحويل السكة وردها إلى العيار الذى عليه السكة الميمونة المباركة ، وقطع الغش منها ، ثم ما عهد به سيدنا ومولانا أمير المؤمنين من نشر العدل وبسط الحق ورفع الظلم وقطع العدوان ونفى الأذى والمساواة فى الحق وإعانة المظلوم وقمع الظالم وأن أحكم فى المواريث على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأمرنى أن أضع ما كان يؤخذ

(١) الوهل : الفجاءة والاضطراب .

(٢) فى النسخة الأصلية (ذرع) .

(٣) فى الأصل وينبسطون ، وهى جائزة على الاستئناف ، والأولى العطف .

(٤) فى هذه السنوات ، وبعد أن اتسع نفوذ الفاطميين بدأوا يتخلصون من علاقتهم بالقرامطة حتى لا يسببوا إحراجاً لهم ، ولا سيما وأن القرامطة قد افتضح أمرهم فى العالم الإسلامى بعد اعتدائهم على الكعبة وأخذهم الحجر الأسود — ولعل حرص المعز على لعنهم حتى يدفع ما شاع عن علاقة الفاطميين بهم .

من تركة موتاكم لبيت المال من غير وصية للمتوفى ولا استحقاق وتصييرها إلى بيت المال ، وأن أتقدم فى رسم مساجدكم وتنزيهها وتزيينها بالفرش ، وإعطاء مؤذنيها وقومتها ومن يؤم فيها أرزاقهم وإدرارها عليهم ولا أقطعها عنهم ولا أدفعها إلى بيت المال وإقامة من شاء على ملته إذ كان الإسلام سنة واحدة وشريعة متبعة وأن تبقوا على ما كنتم عليه من أداء الفروض فى العلم والاجتماع عليه فى جوامعكم ومساجدكم على ما كان عليه سالف الأمة من الصحابة والتابعين بعدهم وفقهاء الأمصار الذين جرت الأحكام بمذاهبهم ، وأن تجرى فروض الأذان والصلاة والصيام لشهر رمضان وفطره والزكاة والحج والجهاد على أمر الله عز وجل فى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإجراء أهل الذمة على ما كانوا عليه . ولكم أمان الله التام العام الدائم المتصل الشامل الكامل المتجدد المديد على مرور الليالى والأيام وتكرر الأعوام فى أنفسكم وأهليكم ونعمكم وأموالكم ورباعكم وضياعكم وقليلكم وكثيركم ، لا يتعرض عليكم متعرض ولا يتعقب عليكم متعقب ، وعلى أنكم تحرسون ويذب عنكم ويمنع منكم من يريد أذاكم ، ولا يسامح أحد(١) فى الاعتداء عليكم ولا يترك إلى الاستطالة على قلوبكم ، مظلا على ضعيفكم ، ولا أزال مجتهداً فيما يعمكم صلاحه ويشملكم نفعه ، ويتصل بكم خيره ، وتتعرفون بركته وتغتبطون بطاعة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين

(١) فى الأصل (أحدا) بالنصب ، والصحيح ما ذكرناه .

وعليكم الوفاء ما ألزمته نفسى وأعطيكم به عهد الله وغليظ ميثاقه وذمته وذمة نبينا محمد مولانا وسيدنا صلى الله عليه وسلم ورسله وذمة الأئمة موالينا أمراء المؤمنين قدس الله أرواحهم وذمة مولانا أمير المؤمنين أعزه الله تعالى ، فتخرجون إلى وتسلمون على وتكونون بين يدى إلى أن أعبر الجسر وأنزل فى المناخ المبارك وتحافظون على الطاعة وتبادرون وتسارعون إلى فروضها ، ولا تخذلوا وليا بمولانا وسيدنا أمير المؤمنين ولا تنصروا (١) له علوا وتقيمون على ما عاهدتم عليه ، وفقكم الله وأرشدكم أجمعين ، وكتب هذا الأمان فى شعبان سنة ٣٥٨ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما ، قال جوهر الكاتب مولى أمير المؤمنين المعز لدين الله : كتبت هذا الأمان على ما نفذ به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين على الوفاء بجميعه لمن أجاب من أهل البلد وغيرهم إلى ما شرط فيه والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل وكتب جوهر المذكور فيه وأشهد فيه الشهود .

وبنى جوهر القاهرة وسماها بهذا الاسم ووصل المعز إلى الأسكندرية لست بقين من شعبان سنة ٣٦٢ هـ وتوجه إليه من مصر القاضي والشهود والأعيان واستقر بقصره بالقاهرة يوم الثلاثاء السابع من شهر رمضان سنة ٣٦٣ هـ .

---

(١) فى الأصل (تنصرون) والصحيح حذف النون .

وكان جوهر قد هيأ له هدية وتلقاه بها وهى أربعة أقفاص منحوتة من عود محكمة الصنعة بحلية من فضة بمسامير فضة ، يحمل كل قفص منها أربعة رجال ، فيها أوانى ذهب وفضة ويتبع ذلك أربعة خدم يحمل كل واحد منهم خمسة أسياف بحمائل إبريسم محلاة بالذهب وخادمان بأيدهما أدراج فضة فيها خواتم فضة ، فصوصها يواقيت وجوهر كثير وغلام يحمل غلاف خيزران فيه تاج مرصع ، والمعز أول من تتوج منهم وفيه يقول ابن الأندلسى (١) :

وعنـــد ذى التـــاج بيض المكرمات وما
عنـــدى له غـــير تمجيد وتحميـــد

وتسع من النوق عليها أجلة ديباج ملونة وثلاثون(٢) قبة على ثلاثين ناقة بمناطقها ولبها ومقاودها وأثفارها فضة ، على كل ناقة منها حلتان من ديباج ومنها خمس عشرة ناقة قبابها مذهبة مرصعة

---

(١) ابن الأندلسى : والصواب ابن هانىء الأندلسى — من قصيدة قالها فى مدح المعز لدين الله أولها :

أقوى المحصب من هاد ومن هيـــد ... وودعونا لطيات عباد بيـــد (١)

(انظر ديوان ابن هانىء تحقيق كرم البستانى صفحة ٤٢ طبعة دار صادر بيروت) . أقوى : خلا المحصب : موضع رمى الجمار بمنى . هاد وهيد : من زجر الإبل واستحثاثها على السير وأراد : خلا من السكان . طيات الواحدة طية : الجهة التى تقصد فى السفر . العباديد : البعيدة .

(٢) فى الأصل (وثلاثين) والصواب لرفع .

بالزجاج ، وخمسمائة رفاص على يد كل واحد منهم سفطان أوتختان من خز العراق ومن كل نوع من أنواع الأمتعة ، وأربعة أفراس بسروجها ولجمها ومقاودها حرير تجتنب إلى كل منها ناقة بسرج ذهب مفرغ ولجام ذهب مرصع بالياقوت وفرس عليه سرج ذهب مرصع بالعنبر ، وأربع بغلات بسروجها ولجمها ولهـا مقاود من هذا النوع ، وست وثلاثون (١) بغلة بأجلة ديباج وبراقع ديباج ملونة ، ومائة وثلاثون بغلا بالأكف وخلفها من الجمال والنجيب فوق الخمسمائة ومن العين ستمائة ألف دينار وجربان فيهما فرشان أقام الصناع فى عملهما سنتين وأنفق عليهما فى الأجرة عشرة آلاف دينار .

وكان الحسين بن أحمد القرمطى (٢) قد وصل إلى دمشق (وتغلب عليها) وقتل جعفر بن فلاح (٣) واستولى القرامطة على البلاد ، وصاروا إلى الرملة ، فخرج المعز إليهم ، وكانت بينهم الوقعة المشهورة فى اليوم الأحمر فانهزم القرمطى وقتل من أصحابه خلق كثير وأسر منهم فوق الألف ، ورجع المعز إلى مصر وأقيمت الدعوة

(١) فى الأصل (وثلاثين) .

(٢) الحسين بن أحمد القرمطى : أبو سعيد الجنابى اسمه الحسين بن بهرام تغلب على الشام سنة ٣٥٧ وكسر جيش جعفر بن فلاح وناب بالشام عن المعز الفاطمى ثم قتله المعز على ما هو وارد وكان شاعراً أورد له ابن عساكر أشعاراً كثيرة كتب بعضها إلى جعفر بن فلاح يهجوه ويهجو الخلفاء الفاطميين (انظر البداية والنهاية جـ ١١ ص ٢٨٧) .

(٣) جعفر بن فلاح : هو أحد قواد الصقلى . وقد ورد آنفاً .

فى مصر وديارها والشام والحجاز مع إفريقية كلها والمغرب باسمه.

ولمـا استوثق له(١) الأمر بهذه الأقاليم تم الأمر وجاء الذى لابد منه ولا محيص عنه فأصابه مرض نفسانى كان سببه الحولادة رسول ملك الروم بالقسطنطينية فحم منه ، وتوفى فى القـاهرة فى يوم الجمعة الحادى عشر من شهر ربيع الأخير سنة ٣٦٥ ، وكانت ولايته ثلاثا وعشرين سنة وخمسة اشهر وأربعة أيام ، وكانت ولاية جوهر بمصر أربع سنين وسبعة عشر يوماً . وفى فتح مصر يقول محمد بن هانىء الأندلسى :

تجهز إلى بغـداد قد فتحت مصر
وأنجز صرف الدهر ما وعد الدهـر
وقـد جاوز الإسكندرية جوهـر
تطالعـه البشرى ويقـدمه النصر
وقد أوفـدت مصر إليـه وفـودها
وزيد إلى المعقود من جسرها جسر (٢)

وهو الذى بنى الإيوان بالمنصورية(٣) وبنى المعزية بها ، وبنى

(١) أى للمعز الفاطمى .

(٢) وزيد إلى المعقود من جسرها جسر : لعله أراد بزيادة الجسر أن جسرا واحدا لم يكن كافيا لمرور جيش جوهر عليه فزيد جسر آخر .
(انظر ديوان ابن هانىء صفحة ٦٠ طبعة دار صادر ١٩٥٢) .

(٣) المنصورية : مدينة بقرب القيروان من نواحى افريقية استحدثها المنصور ابن القائم بن المهدى الخارج، بالمغرب سنة٣٣٧هـ وعمر أسواقها واستوطنها ثم =

قناطر فى الماء عليها ، وله آثار ، وأخبار ، أغنانى عنها الاشتهار ، وأن مقصودى الاختصار ، والملك لله الواحد القهار .

أبناؤه نزار العزيز ولى عهده ، والخليفة من بعده ، وعبد الله وتميم (وهو تميم بن المعز الشاعر) والذى يحاذى أبا العباس عبد الله بن المعتز المتوكل فى التشبيهات(١) والتوجيهات ويحاذيه فى سلوك ألفاظ الملوك ، وكان أبوه قد ولاه العهد ثم خلعه ، لأنه كان لايولد له ، وكانوا لا يولون الخلافة إلا ابن خليفة وعقيل ، وسبع بنات . حاجبه جعفر بن على ثم عمار (و) حامل مظلته شفيع الفتى ، نقش خاتمه (توحيد الإله الصمد) ، دعى الأمير معد ، والأمير(٢) بإفريقية والمغرب بلكين بن زين بن مناد الصناجي وكان قد سماه يوسف وكناه أبا الفتوح ولقبه عدة العزيز بالله يعنى ابنه .

= صارت منزلا للملوك الذين زعموا أنهم علويون وملكوا مصر ولم تزل منزلا لملوك افريقية من بنى باديس حتى خربتها العرب لما دخلت افريقية وخربت بلادها بعيد سنة ٤٤٢هـ فكانت هى فيما خربت فى ذلك الوقت وقيل سميت المنصورية بالمنصور ابن يوسف بن زيرى بن مناد جد بنى باديس وأكثر ما يسمون هذه التى بإفريقية محاضة المنصورية بالنسبة .

(انظر معجم البلدان ج : ٥ صفحة ٢١١ طبعة دار صادر ١٩٥٧) .

(١) فى النسخة الأصلية (التنبيهات) .

(٢) هكذا فى الأصل ولعل المقصود نائبه أو أميره .

العزيز

هو نزار أبو المنصور ولد بالمهدية يوم الخميس الرابع عشر من محرم سنة ٣٤٤ وولى العهد بمصر يوم الخميس العاشر من ربيع الأخير ٣٦٦ وولى الخلافة فى الحادى عشر من هذا الشهر وسترت وفاة المعز إلى يوم النحر من هذه السنة ، فسلم عليه بأمير المؤمنين وركب إلى المصلى وصلى بالناس فى المصلى وخطب فقرن نفسه وجميع الناس ورجع إلى قصره فدخل عليه عمه حيدرة وهاشم وعم أبيه أبو الفرات ، وكان نزار هذا أسمر طويلا أصهب غير سفاك للدماء جيد البصر بالخيل والجوارح والجوهر والتبر ، محبا للصيد والركوب حسن الخلق ، وسار إلى مدينة الرملة وظفر بأنتك التركى (١) غلام معز الدولة الديلمى وزير(٢) صاحب بغداد فى محرم سنة ٣٦٨ بعد أن كانت له وقائع وأنفق عليه أموالا وعفا عنه واصطنعه .

(١) فى حوادث سنة ٣٦٧ وردت الوقعة التى كانت بين العزيز بن المعز الفاطمى وبين الفتكين غلام معز الدولة صاحب دمشق فهزمه وأسره وأخذه معه إلى الديار المصرية مكرما معززاً وتسلم العزيز دمشق وأعمالها .

(٢) وردت فى الأصل (ويرى) ولا معنى لها — والمعروف أن معز الدولة الديلمى قلده صاحب بغداد الخليفة الطائع الإمارة وخلع عليه وأعطاه اللواء ولقبه بنور الدولة وكانت مدة أيامه شهرين وثلاثة عشر يوماً . . وبالتالى ، فالصحيح أن يقال : أمير أو حاجب أو ما إلى ذلك وقد استعملنا كلمة (وزير) لأنها أقرب إلى الأصل .

قال إبراهيم بن أبى القاسم الكاتب المعروف بابن الرقيق فى أخبار إفريقية : توفى العزيز ببلبيس وكان بها مبارزاً للروم فى جميع عساكره وجيوشه ، وكانت به علة الحصى ، وكان الطبيب يطب له دخول الحمام فيجد له راحة فدخله يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شهر رمضان من هذه السنة ، وعمل له دواء وشربه فى حوض الحمام فأدركه أجله ، فمات من ساعته وليس معه من الرجال إلا ابن النصير النصرانى الطبيب وغلامه ابن جوان الخادم ، فأخرج من الحمام ميتا ، وحمل إلى القاهرة فدفن بها ، وقال القاضى مؤلف الشهاب فى تاريخه : توفى وهو مبارز بعد الظهر يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من رمضان سنة ٣٨٦ وله اثنتان وأربعون سنة فكانت ولايته خمسا وعشرين سنة وخمسة أشهر وخمسة وعشرين يوماً ، قال القاضى ولم يلقب فى خلافته كلها إلا أربعة (العزيز) يعقوب بن كلس وبلكين ابن زيرى) سيف العزيز بالله (والمنصور) عدة العزيز بالله (وابنه باديس) ناصر الدولة ، نقش خاتمه بنصر العزيز الجبار ينصر الإمام نزار .

الحاكم

هو أبو على(١) منصور بن العزيز بالله ولد عند آخر الليل بمصر ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٣٧٥ وولاه أبوه العهد سنة ٣٨٣ وولى الخلافة يوم الخميس سلخ شهر

(١) فى الأصل (ابن) .

رمضان سنة ٣٨٦ وعمره إحدى عشرة(١) سنة وستة أشهر ، فلم يزل خليفة إلى شوال سنة ٤١١ ، فخرج ليلة الاثنين السابع والعشرين من شوال فطاف ليلة كلها على رسمه فقيل إنه كان يخلو بنفسه فى الجبل المقطم(٢) لاستنزال الروحانية وزحل وكان صاحب نجوم ورصد له الزنطجا الحاكمى المعروف .

وحدثنى الشيخ الفقيه الشيخ المعمر أبو الحسن على بن محمد بن عثمان التميمى القلعى رحمه الله تعالى أنه رأى بمصر الآلة التى رصد بها مرفوعة على برجين اثنين بنيا لها آلة من نحاس على هيئة الاسطرلاب قال فقست بشبرى فى أحد بيوت البروج الأثنى عشر وهو برج الحوت ثلاثة أشبار .

فطاف الحاكم ليلته كلها ثم أصبح عند قبر الفقاعى ثم توجه إلى شرقى حلوان ومعه ركيبان فأعاد إحداهما مع تسعة من العرب السويديين إلى بيت المال لأخذ جائزة أموالهم ، فضال(٣) ، ثم أعاد الراكبى الآخر فذكر هذا الراكبى أنه خلفه عند القبر والمقصبة وبقى الناس على رسلهم يخرجون فى كل يوم يلتمسون رجوعه ويخرجون معهم فرسا مسروجا ملجما مبرقعا من مراكبه ينتظرونه ، ولم يزل هذا رسمهم إلى آخر أيام بنى عبيد ، وكانوا يسمون هذا

(١) فى الأصل (وعشرون) والصواب ما ذكرناه .
(٢) فى الأصل (المحطم) والصواب ما ذكرناه .
(٣) نرجح أنها (فضل) .

الفرس النوبة ، وهذا الرسم من خروج المركوب غدوة كل يوم هو الذى اتبعه ملوك صنهاجة بإفريقية وبالقلعة وبجاية ، وكانوا يسمونه (تسايست) أى (استايست) إلى آخر أيامهم ، يخرج القائد كل يوم بالجيش عن البلد فيمشى مسافة معلومة إلى موضع معلوم فيقف برهة ثم يرجع إلى باب السلطان فيقف إلى أن يؤذن له فى الانصراف ، فلما كان فى يوم الأحد الثالث من ذى القعدة خرج مظفر صاحب المظلة ، وحضى الفتى ، ونسيم متولى السر ، وابن سنكين التركى صاحب الرمح ، وجماعة من الأولياء الكاتميين وهم الخاصة ، فبلغوا دير القصير ، ثم الموضع المعروف بيسلان ثم أمعنوا فى الدخول إلى الجبل ، فبينما هم كذلك إذ بصروا بالحمار الذى كان راكبا عليه ، على قنة من الجبل فوجدوه قد ضربت يداه بالسيف ، فأثر السيف فيهما ، وعليه سرجه ولجامه ، فتتبع الأثر فإذا أثر الحمار فى الأرض وأثر رجل خلفه ورجل قدامه ، فلم يزالوا يقصون هذا الأثر حتى انتهوا إلى البركة التى فى شرقى حلوان ، فنزلها رجل من الرجال فوجد فيها ثيابه وهى سبع جباب صوف ووجدت مزرة لم يحل أزرارها ، وفيها أثر السكاكين فأخذها ماضى ، وجاء بها إلى القصر ، فلم يشك فى قتله . هذا قول القضاعى فى مقتله ، وقال غيره إن شبانا من أهل القيروان والأندلس كمنوا له فى الجبل ، فلما ظفروا به قتلوه وألقوه فى النيل ، وقيل إنهم كانوا من المصادمة(١)

(١) الصحيح : المصامدة .

والله سبحانه أعلم أى ذلك وكيف كان (وإن كان كما قيل ، يستنزل كيوان ، فلما غفل عنه كيوان ، يقضون بالأمر عنها وهى غافلة ، ما دار فى فلك منها ولا فى قطب) ، وكان عمره يومئذ ستا وثلاثين سنة وسبعة أشهر ، وكانت ولايته خمسا وعشرين سنة وشهراً واحدا وكان ولى عهده عبد الرحمان بن إلياس بن أحمد بن عبيد الله ، فلما قتل الحاكم قبض عليه وقتل .

وكان الحاكم جوادا بالمال سفاكا للدماء ، قتل عددا كثيراً من أماثل أهل دولته وغيرهم صبرا ، وكانت سيرته من أعجب السير ، وبنى الجامع براشدة ، والجامع بظاهر القاهرة المعزية ، وأنشأ عدة مساجد بالقرافة وغيرها ، وحمل إلى الجامع من المصاحف وآلات الفضة والستور وحصر السمار ماله قيمة طائلة .

وجرت فى أيامه أمور كثيرة عجيبة ، منها أنه كان فى صدر خلافته أمر بكتب سب الصحابة على حيطان الجوامع والقياسير والشوارع والطرقات ، وكتب السجلات إلى سائر الأعمال بالسب وكان ذلك فى سنة ٣٩٥ ، ثم أمر بقلع ذلك ونهى عنه وعن فعله فى سنة ٣٩٧ وتقدم بعد ذلك بمدة ، فضرب من يسب الصحابة وشهره ، وكان فى شهر رمضان من سنة ٣٩٩ يمنع الناس من صلاة التراويح ، واجتمع الناس فى الجامع وتُخوف من سوء العاقبة ، فلم يصل التراويح ، وتقدم أبو الحسن بن جد الدقاق فصلى بالناس الشهر كله أجمع ، وقتل بعد ذلك فى اليوم الثانى من ذى القعدة فى

السنة ، ولم تصل التراويح إلى سنة ثمان وأربعمائة ، فخرج المعز فى هذه السنة (١) بالأمر فيها وقرر بالمساجد والجوامع بمصر والقاهرة ومن يصلى فيها ، ولم يزالوا يصلون التراويح إلى آخر خلافته .

وكان أمر بقتل الكلاب فى سنة ٣٩٥ فلم يكن يرى كلب فى الشوارع والأزقة إلا قتل ، وكان نهى عن بيع الفقاع والملوخيا وكبب الترمس المتخذة والجرجير والسمك الذى لا قشر له . وأمر بالتشديد فى ذلك والمبالغة فى تأديب من يتعرض لبيع شىء منه وظهر على جماعة أنهم باعوا شيئاً من ذلك فضربهم بالسياط وطيف بهم وضربت أعناقهم .

وفى سنة ٤٠٢ منع من بيع الزبيب قليله وكثيره على سائر أنواعه وأصنافه ، ذكر أن مبلغه ألف وثمانمائة قطعة وأحرق جميعها بظاهر الجرا على شاطىء النيل ، وذكر أن مقدار النفقة على إحراقها خمسمائة دينار .

وفى هذه السنة منع من بيع العنب وأنفذ الشهود إلى الجزيرة ، حتى قطع كثيرا من كرمها ، وشيدت بالمصر ، وجمع ما كان فى المخازن من جرار العسل ، ذكر أنها كانت خمسة آلاف قطعة ،

---

(١) المراد : المعز بن باديس ، الذى ضرب الشيعة فى إفريقيا فى سنة ٤٠٧ ، أو ٤٠٨هـ وتعقب الروافض ، وفرح بذلك الناس . ولعل هذا كان له تأثيره فى تخفيف الضغط على المسلمين فى مصر ، فترك لهم أمر صلاة التراويح .

وحملت فى محرم سنة ٤٠٣ بمحضر الشهود إلى وسط الجسر وكسرت وقلبت فى البحر .

وفى هذه السنة رفعت المكوس على جميع الغلات الواردة إلى السواحل والأسواق ، ثم رفعت بعد ذلك مكوس الرطب ودار الصابون والحرير والشرطتين وعدة مواضع .

وفى هذه السنة أمر النصارى واليهود إلا الحبابرة(١) بلبس العمائم السود والطيالسة السود ، وأن تحمل النصارى فى أعناقهم من الصلبان ما يكون طوله ذراعا ووزنه خمسة أرطال ، وأن تحمل اليهود فى أعناقهم قرائن الخشب على مثل الوزن المذكور ، وأن لا يركبوا شيأً من المراكب المحلاة ، ولا يستخدموا أحدا من المسلمين ، وأن لا يركبوا حماراً إلا أن كان مسلم(٢) ولا سفينة يؤتيها مسلم وأن يكونوا(٣) فى النصارى إذا دخلوا الحمام الصليب وفى أعناق اليهود الجلاجل ليتميزوا بها عن المسلمين ، ثم أفردت الحمامات لليهود والنصارى عن حمامات المسلمين وخط على حمامات النصارى صور الصلبان وعلى حمامات اليهود صور القرامين(٤) ونهى عن تقبيل الأرض لأمير المؤمنين وعن الدعاء له بالصلاة فى

---

(١) المراد الأحبار .

(٢) لعل المقصود (إذا كان لمسلم) والعبارة مرتبكة على أى حال .

(٣) لعل الصواب (وأن يكون) .

(٤) ربما كان (القرنين) .

الخطب عليه ، وأن يجعل عوض ذلك السلام على أمير المؤمنين ، ونهى عن التكلم فى علم النجم ومنع النساء(١) من الخروج إلى الطرقات والحمامات مدة سبع سنين إلى خلافة الظاهر(٢) هذا كله قول القضاعى فى تاريخه ، وهذا التطور والتغير والتأثر لم كان والله سبحانه أعلم بجبلات الاستنزالات والسخافات الموجودات فى تلك الخرافات ، ولو صح بعض ذلك لعصمه الله من المهالك وهيهات هيهات الأمر كله لرب السماوات .

ويقال إن الذى وجد فى خزائن بنى عبيد عند انقراض دولتهم واستواء المعز على مملكتهم من الأموال والذخائر والأعلاق والجواهر لم يوجد مثله (عند) القياصرة والكياسرة ثم إن الجند كانوا يقتسمون الجواهر النفيسة بالمكاييل والكبار مثل اللوبيا ونحوه وكانوا يقطعون

(١) يوصف الحاكم بأنه كان كثير التلون فى أحكامه وأقواله وأفعاله جائراً يروم أن يدعى الألوهية كما ادعاها فرعون ، ويقال : إنه أمر أهل مصر على الخصوص إذا قاموا عند ذكره خروا سجداً له حتى إنه ليسجد بسجودهم الرعاع فى الأسواق ممن لا يصلى الجمعة فيتركون السجود لله ويسجدون للحاكم ، وهذا الوصف يجعل الحاكم شخصا مجنونا ولا تعتبر بالتالى أفعاله ضد أهل الذمة حجة على الإسلام ، وفى قصة قتله خلاف ويبدو أن لأخته يدا فى قتله بالتعاون مع ابن دواس (انظر حوادث سنة ٤١١ فى البداية والنهاية لابن كثير) .

(٢) بعض النصارى المغرضين ومنهم (ا — ترتون) صاحب كتاب (أهل الذمة فى الإسلام) يعتبرون أعمال الحاكم اضطهاداً دينياً لهم ، وينسون ما قيل فى جنون الحاكم ، كما ينسون مظالم الحاكم ضد المسلمين أنفسهم . . . . فمظالم الحاكم مظالم عامة وليست خاصة بطائفة .

العنبر والكافور بالفرس من الجرارات البادهنجات ، ويقول(١) إن أصل هذه الأموال لا يفى بها خراج المعمور من المعمور على مر الدهور على ما كانوا يخرجونه من تجهيز الجيوش وعمارة المدن وإقامة الرسم وحفظ الهمم وإجراء الأرزاق وإنما هى من الكنوز التى استخرجها الحاكم من أرض مصر التى هى محل الهياكل القديمة والمدائن العظيمة وإنه مما أفاء من تلك الألحاد .

وذكر أن رجلا استأذن عليه فلما دخل ومثل بين يديه إذ هو قد تغير وجهه وشحب لونه وهو أشعث أغبر وعليه أثر السفر ، فلما سلم أمره بالجلوس وتركه حتى سكن وتأنس ورجعت إليه نفسه ثم قال له : من يكون الرجل ؟ فقال له : أنا رجل من أهل حوران وكنت خرجت من بلادى فوقعت البجا(٢) فكنت عند رجل منهم وللقوم جمال يتراهنون بها ويتسابقون عليها وتعلمت ركوب تلك الجمال والمسابقة عليها ، فكان الرجل الذى كنت عنده يأمرنى بالمسابقة عليها فركبت يوما فلما استويت على ظهره ضربته فاندفع بى كأنه البرق فما علمت هل أنا فى بر أو فى بحر ، ولم أقدر على إمساكه فلما كان آخر النهار برك بى على عين تجرى فنزلت وشربت من مائها ، وإذا حصى العين ياقوت أحمر وأنا لا أدرى فى أى موضع أنا من بلاد الله ، فبت بذلك الموضع ، فلما أصبحت ملأت مخلاة

(١) لعله (القضاعى) .

(٢) إلى بجان أى نزلها .

كانت معى كنت لا أفارقها لأسباب كانت فيها ، فأزلت الأسباب
وملأت المخلاة من ذلك الياقوت ، وركبت الجمل وسرت به بين
مشي وجرى طول النهار ، ولم أزل على ذلك شهرا أقتات بنبات
الأرض وأرعى الجمل منه إلى أن وصلت مدن عدن فدخلتها وبعت
من ذلك الياقوت بمائة دينار ، وسرت مع أهل اليمن إلى الحجاز ،
وقدمت الآن من الحجاز وأخرج له المخلاة فإذا فيها أحجاز ياقوت
نفيسة كثيرة ، فأرسل إلى الجوهريين وأراهم ذلك وذكر لهم المسألة ،
فقال له رجل منهم : يا أمير المؤمنين عندى خبر تلك العين وهى فى
أقصى بلادهم المجاورة لأرض الهند وقليل من رأى تلك العين ،
فوصل الحاكم الرجل وأحسن إليه وأجازه وخيره فى الانصراف
أو الإقامة بمصر فاختار الإقامة فأمر له بدار سرية ومن الفروش
ما يليق بها وأجرى عليه ما يليق به .

ذكر الوسائط فى أيامه : كان أبو القاسم أحمد بن على الجرجرائى
يخدم فى بعض الدواوين فنقم عليه الحاكم شيأ فأمر بقطع يديه معا فما
التاع ولا ارتاع مما أصابه ولا هلع ولا جزع ، وعصب يديه إثر
قطعها ، ثم انصرف من وقته إلى موضعه من الديوان فجلس لخدمته
على عادته ، فلما رأى الناس يعجبون ولا يصرفون أبصارهم قال
لهم إن أمير المؤمنين لم يعزلنى وإنما عاقبنى لخيانتى ، فلما بلغ ذلك
الحاكم استعظمه وشرف لديه ورفع به إلى الوزارة فوزره هو وابنه
الظاهر وابنه المستنصر نحو ثمانى سنين ، وكانت سيرته محمودة وآثاره

مأثورة ، ومات سنة ٤٨٦ هـ وهـو الذى أدخل العرب إلى إفريقية
عندما خلع المعز بن باديس الصنهاجى لبنى عبيد على ماذكر .. القضاة
فى أيامه ابن النعمان وزاد قضاء الشام وسائر أعماله إلى دمشق وبيت
المقدس إلى الشريف أبى طالب الحسن بن جعفر المعروف بابن بنت
زيرى وكان الحاكم هذا ولى عهده عبد الرحمان بن إلياس بن عبيد
الله ، فلما فقـد الحاكم قبض على عبد الرحمان وقتـل وولى على
ابن الحاكم .

الظاهر

هو أبو الحسن وقال أبو حزم هو أبو الأشبال على بن منصور
الحاكم ، ولد بمصر يوم الأربعاء سنة ٣٩٥ وبويع له بالخلافة يوم
عيد النحر سنة ٤١١ وكفلته عمته سيدة الملك وكانت المؤيدة للملك
والقائمة به ، ومات ليلة النصف من شعبان سنة ٤٢٧ وله من العمر
اثنتان وثلاثون سنة إلا أيام ، وكانت ولايتـه خمس عشرة سنة
وثمانية أشهر وخمسة أيام ، وكان وزيره والغالب على أمره الجرجرائى
الأقطع الذى تقدم ذكره ، وجرجريا بالعراق ، وخرج على الظاهر
رجل من بنى أمية وهو الوليد بن يزيد زعم أنه من ولد هشام بن
عبد الملك بن مروان ، وكان يعرف بأبى ركوة وكان القائمون به بنى
مرة ، غلب على كثير من بلاد فزان فى سنة ٤١٥ ودخل مدينـة
لك وسلم عليه بالخلافة ، وكتب إلى بنى هذيل يدعوهم إلى كسر
منبر بنى أبى عبيد ولعنتهم وخطب له على منبر لك وترحم على آبائه

بنى أمية ، وضيق على مصر فصالح صاحب مصر بنى مرة بالأموال الكثيرة ، وخسر لأميرهم ماضى بن مقرب عشرة(١) آلاف دينار وعشرين تختا من رفيع الثياب ، فوثبوا على الأموى وأوثقوه ، وحملوه على جمل ، فلما رأى ذلك شرب الزرنيخ فمات فحملوه ميتاً إلى مصر وصلب على شاطىء النيل .

المستنصر

لما مات الظاهر نصب الجرجرائى مكانه ابنه معدا طفلا صغيراً أسمر اللون يسمى معدا مثل جده ، أخذ المعز وكناه أبا تميم لكنيته ولقبه المستنصر بالله ودبر سلطانه الجرجرائى ، وكان موصوفا بالسياسة وجميل المذهب وكثرة العفو ، وفى أيامه خلع المعز ابن باديس الصنهاجى صاحب إفريقية لبنى عبيد ، ودعا لبنى العباس فقال الجرجرائى لا تكلف له ولا تجهز له جندا ودبر إجازة العرب النيل إلى إفريقية(٢) فلما وصلوا إليها ودخلوها كان ذلك سبب خرابها وذهاب ملك صنهاجة منها(٣) إلا ما تدركه حسبما هو مذكور فى تاريخ إفريقية ولم يملك من بنى عبيد من بنى المستنصر

---

(١) فى الأصل (بعشرة) .

(٢) المقصود بها المغرب الأدنى (تونس) .

(٣) المراد ملك بنى زيرى الصنهاجيين (من صنهاجة الشمال) أما بقية صنهاجة الشمال فهم بنو حماد فى المغرب الأوسط (الجزائر) فلم يتأثروا كثيرا بالزحف الهلالى . فلما ملك المرابطون وهم صنهاجة الجنوب نجحوا فى استخدام وتحضير بنى هلال .

ملك ، وفى سنة ٤٦٤ من ملكه كانت بمصر وقعة كوم الريش بين الأتراك والمغاربة فمات فيها فى يوم واحد بين الفريقين أثنا عشر ألفا وقامت الفتنة بينهم أربع سنين وامتنع الناس من الحرث والعمارة ، وغلت الأسعار وفقد الطعام بمصر فمات أكثر الناس جوعاً ، ولم ير بمصر جوع مثله من زمن يوسف الصديق عليه السلام وهذا الذى وجدت من أخباره فيما ذكر ابن حيان .

المستعلى

هو ابن المستنصر على ما يقال ولم أجد له خبراً ولم ألحق له اسما وقيل إن اسمه أحمد ورأيت كتابا عنه وفيه علامته وهى الحمدلله على آلائه .

الآمر

لم أعرف له أيضاً اسما ولا وجدت له خبرا إلا ما حدثنى الفقيه القاضى أبو المكارم هبة الله المصرى رحمه الله تعالى قال اجتمع عشرة من الحشيشية ودخلوا فرن خباز على طريق الآمر فى يوم خرج فيه إلى بعض نزهه فأكلوا فى الفرن خبزا بعسل وتباطؤا إلى أن مر بهم راجعا من منزهه ، وقد حصل فى طريق ضيق عند الفرن ، وصار رجاله الذين بين يديه واحدا بعد واحد لضيق الطريق فوثبوا على الخليفة بسكاكين وصار أحدهم خلفه على كفل مركوبه فأنفذوا مقاتله وقتل منهم تسعة ووصل إلى قصره وبه رمق الحياة ثم مات من يومه .

الحافظ عبد المجيد

كان الحافظ من بيت الخلافة ولم يكن ابن خليفة وكان (ابن رئيسهم)(١) ومذهبهم ألا يولوا الخلافة إلا ابن خليفة ، فمات الأمير ولا ولد له إلا ما يتوهم فى البطون ، (ولذلك)(٢) بالحافظ ، فلما لم يظهر حمل(٣) قال عبد المجيد الحافظ لداعيه ، وهو الذى يأخذ لهم البيعة ويقوم بالدعوة بايع لى فأبى وامتنع ، وخلى عنه ودفع فعزلوه وقدموا داعياً آخر فبايع له ، وهذا أيضاً حدثنى به أبو المكارم رحمه الله تعالى ، وليس عندى سواه .

الظافر

وهو يوسف بن عبد المجيد الحافظ (٤) كان وزيره المعروف بالعادل وكان ابن العادل حسن المنظر بديع الجمال ، وكان الظافر إليه مائلا وكان يتنكر ويمشى معه فى الليل أزقة(٥) مصر فرميت للعادل بطائق فى الظافر وفى ابنه يعزونه به فذكر ذلك لابنه ، وقد خرج ليلة على عادتهما ويصرفون سهام المكر إليهما ، فلما قرب من

(١) هكذا فى الأصل ، ونرجح أنها (من رأيهم) .

(٢) هكذا فى الأصل ، ونرجح أنها (ولقب) .

(٣) هذا الأسلوب من المصائب التى ابتليت بها الأمة الإسلامية (!!) وأين شروط الخلافة إذن ؟ ! ! بل أين الشورى وحق الأمة ؟ ! ! — لكنه السلوك الفاطمى الغريب !!

(٤) نرجح أنها (الظافر) .

(٥) نرجح أنها (بأزقة) .

داره رغب إليه أن يشرفه فأدخله عنده وأن يؤكد بذلك حبه له ، وود الاستعفاء بدخوله وأراد تضمن مسرته والمبالغة فى مبرته ، فلما تمكن به فى الدار ضرب عنقه وأعناق فتيان كانوا معه ، وأفلت فتى صغير السن فاستخفى عند فتيان ابن العادل ، فلما أصبح أطلع أباه على الخبر وأعلمه أنه قطع الأمر ، فحصن العادل القصر وأخذ يغالط الأمر ، فاستأذن فيما أظهر على الظافر وطلب خروجه ، وكان من عادة أهل مصر فى تلك الدولة يسلمون على الخليفة فى كل يوم اثنين وخميس على طبقاتهم الوزراء أولا ثم الكتاب ثم القضاء ثم الفقهاء ثم القواد والأجناد ثم أعيان العامة واتفق ذلك أحد اليومين فاعتذر إخوة الظافر عنه ، وكان المتكلم عنهم أخ لهم يسمى جبريل ، فلما اشتد(١) عليهم ولم يقبل منهم قال القوم ابنك خرج به البارحة ولم يرجع فقال لهم العادل إنما قتلتموه لتكونوا مكانه وقتلهم كلهم ، وأخرج ولده الفائز وهو ابن سبع سنين أو نحوها ، فأجلسه مجلسه وبايعه وانتهى خبر مقتل الظافر على لسان الفتى الصغير المذكور الذى سلم من القتل إلى أخت الظافر وإلى الأولياء والقواد الرؤساء فى كافة أعمال مصر تخبرهم بذلك وتستصرخهم وأحس العادل ذلك فأخذ مائة ألف دينار وفر من مصر ، فكتبت الأخت إلى النصارى فقطعوا به الطريق وأسروا له ولدا فاشترته منهم بجملة مال وعذبته إلى أن مات وانقرض العادل وبنوه . وهذا حدثنى به أبو المكارم أيضاً رحمه الله .

(١) فى الأصل (تشد) .

الفـــائز

هو كما تقدم ابن الظافر ولم أجد له خبراً ولا عرفت له اسما .

العاضـــد

ما أعجب هذا اللقب (! !) العاضد هو القاطع ، وعليـــه انقطع أمرهم وانحل عقدهم وانثر عهدهم وأين الذى بنى الإيوان وغمدان (! !) ومن الذى يبقى على الحدثان (؟ ! !) هو عبد الله ابن يوسف الظافر وكان فتى صغير السن أسمر اللون وكان وزيره يسمى سابور واتفق لهم أن استدعوا الغز ليتخذوهم ويستظهروا بهم فوصلوا ورئيسهم أسد الدين ، ومعه ابن أخيه يوسف بن أيوب المعروف بصلاح الدين ، ووقعت فتنة تنافروا فى الوزارة التى هى كالإمارة(١) ، قتل فيها الوزير سابور وجلس أسد الدين مكانه ، وولى خطته . والعاضد فى الأمر كواوعمرو(٢) ثم توفى أسد الدين عن قليل ، فولى ابن أخيه يوسف بن أيوب وهجمه العاضد وهاجر(٣) من أهل بيته الأقارب والأباعد ، وكان يعتقد ويسر فيهم حشوا فى ارتقاء الناس إلى أن ألغز عليهم فى الخطبة باسم المستنجد صاحب بغداد إذ ذلك وكأنه جعل ذلك صفة للعاضد ، فقال خطيبه اللهم

(١) يشير المؤلف هنا إلى أنه فى هذا العهد كان للوزراء سيطرة الأمراء .. وكان الأمراء ضعافاً ، وهذا العصر لقب بعصر الوزراء العظام .

(٢) أى أنه لا لزوم له وهذا منتهى السخرية بالخلفاء .

(٣) فى إحدى النسخ (هجر) .

اصنع كذا وكذا للعاضد المستنجد بالله ، وقصد بذلك أن يذوق الناس ويدفع بالإيحاش الإيناس فلم يتحرك لذلك ولا استنطح عنزان وفى خلال هذا مات العاضد ومن قائل يقول مات حتف أنفه ومن قائل يقول بلسان الحال بيدى لا بيد عمرو سم بيده ، وقيل إن يوسف ابن أيوب سمه وانسلخ من لوح الحياة اسمه ، ولما مات سجى برداء أشرب وغطى ودخل عليه يوسف بن أيوب وأدخل الشهودوالأعيان فرأوه وقلبوه ، فلم يروا به مأثر قتل ، ومشى ابن أيوب فى جنازته راجلا مشقوق العباء وقد لبس البياض وذلك فى آخر سنة ٥٦٤ ، ونسخ يوسف دولة بنى عبيد وأحكم دولة بنى العباس ثم انقضت تلك السنون وأهلها ، فكأنها وكأنهم أحلام ، وهكذا الدهور ، وأهل الدهور ، وإلى الله تصير الأمور ، وتتبع بنو عبيد فمن عثر عليه سجنوه بدار القاهرة بقيتهم فيها إلى اليوم وهو سنة ٦١٧ ، فكانوا يتناسلون ثم منعوا النكاح لينقطع النسل ، ويذهب الفرع والأصل ، وكان قد أراد أن يطلقهم منذ سنين ، ويلحقهم بغمار المسلمين ، ثم أراد أن يستفتى فى ذلك ويشـــاور ويطالع ويوامر ، فكتب إلى الفقهاء بالإسكندرية فاجتمعوا وأجمعوا أن كتبوا بقوله عزوجل « ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم » الآية إلى قوله « بغيظكم(١) » وكتبوا بذلك إليه فأنفاهم حيث أنفاهم « وعند الله تجتمع الخصوم » ويلتقى الظالم والمظلوم ، إذ يلتقى كل دائن بما طله منا ويجتمع المشكو

(١) آل عمران ١١٩ .

والشاكى ، وحدثنى بعض الطلبة الحجاج عن رجل كان فيهم يسمى داوود أسمر أنه لو اطلع إلى أهل مصر لسجدوا(١) .

وكانت دولتهم كلها منذ بويع عبيد الله بسلجماسة إلى ان مات العاضد عبيد الله مائتى سنة(٢) اثنين وثمانى وستين سنة ، انتهى ما وجدناه ، وفى الأصل تحريف كثير لأن ناسخها وجد بالأصل تحريفا كثيراً ونبه عليه .

وكان الفراغ من نسخها يوم الجمعة أوائل ذى الحجة عام ١٢٦٥ هـ ــ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

---

(١) هذه مبالغة سمجة ! !

(٢) لعلها : واثنتين .

جدول

خلفاء الدولة الفاطمية

فى المغرب ومصر

١	ــ عبيد الله المهدى	٢٩٧ ــ ٣٢٢هـ (٩٠٩، ٩٣٤م)
٢	ــ القائم (محمد أبو القاسم)	٣٢٢ ــ ٣٣٤هـ (٩٣٤ــ٩٤٥م)
٣	ــ المنصور (إسماعيل أبو طاهر)	٣٣٤ــ٣٤١هـ(٩٤٥ــ٩٥٢م)
٤	ــ المعز لدين الله (معد أبو تميم)	٣٤١ــ٣٦٥هـ(٩٥٢ــ٩٧٥م)
٥	ــ العزيز بالله (نزار أبو منصور)	٣٦٥ــ٣٨٦هـ(٩٧٥ــ٩٩٦م)
٦	ــ الحاكم بأمر الله(المنصور أبو على)	٣٨٦ــ٤١١هـ(٩٩٦ــ١٠٢٠م)
٧	ــ الظاهر لإعزاز دين الله (على أبو حسن)	٤١١ــ٤٢٧هـ(١٠٢٠ــ١٠٣٥م)
٨	ــ المستنصر بالله (معدأبو تميم)	٤٢٧ــ٤٨٧هـ(١٠٣٥ــ١٠٩٤م)
٩	ــ المستعلى (أحمدأبوالقاسم)	٤٨٧ــ٤٩٥هـ(١٠٩٤ــ١١٠١م)

١٠ – الآمر (المنصور أبو على) ٤٩٥–٥٢٣هـ(١١٠١–١١٣٠م)

١١ – الحافظ (عبد المجيد أبو الميمون) ٥٢٤–٥٤٤هـ(١١٣٠–١١٤٩م)

١٢ – الظافر (إسماعيل أبو المنصور) ٥٤٤–٥٤٩هـ(١١٤٩–١١٥٤م)

١٣ – الفائز (عيسى أبوالقاسم) ٥٤٩–٥٥٥هـ(١١٥٤–١١٦٠م)

١٤ – العاضد (عبدالله أبو محمد) ٥٥٥–٥٦٧هـ(١١٦٠–١١٧١م)

الفهرس

تم بحمد الله

دار العدالة

للطباعة والنشر والتوزيع

٣٨ شارع الإخلاص من شارع الفيوم دار السلام القاهرة

ت : ٩٨٤٣٣٢